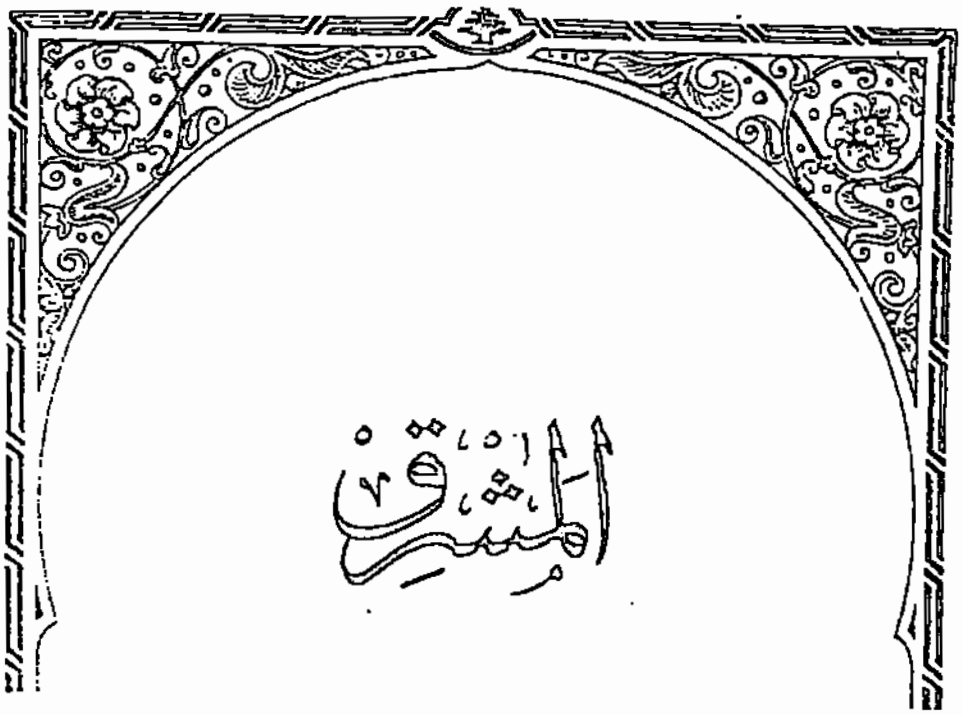

السنة الخمسون — تشرين الثاني – كانون الاول ١٩٥٦

وثائق تاريخية عن حلب

٤

اخبار الموارنة وما اليهم من ١٦٠٦ الى يومنا

بقلم الاب فرديناند توتل اليسوعي

تنبيه : يتكوّن من هذه الوثائق مجلد رابع وهو تكملة لما جاء قبله في المجلدات الثلاثة الاولى التي ظهرت في المشرق وطُبعت على حدة .

١ً الحوادث والاخبار اخذاً عن يومية نعوم البخاش ١٨٥٥–١٨٦٥ (سنة ١٩٤٠).

٢ً اولياء حلب في منظومة الشيخ وفا. (سنة ١٩٤١) .

٣ً دفتر اخوية عزبان الارمن (سنة ١٩٥٠) ، المطبعة الكاثوليكية .

وقد عنونا المجلد الرابع باسم « الموارنة وما اليهم » لان اكثر الوثائق فيه مأخوذة عن خزانة مطرانية حلب المارونية او عن كتبة موارنة او عن آثار

متصلة بهم وهم على قلة عددهم في جاب مثلوا فيها زماناً العنصر الكاثوليكي اذ كانوا الرابطة بين الطوائف الشرقية والغربية[1] .

وهناك صفحات قد تتكون منها مقالات قائمة بذاتها لما لها من الوحدة في الموضوع والاصل والفصل كوصف الطاعون وعظة الدويهي والرسالة[2] « فيما يمنع منه اهل التطليب » . ومنشورات المطارين وغير ذلك مما يتفاوت لزوم علاقاته مع تاريخ الموارنة لكنه يمس حياة البلاد الاجتماعية في صميمها فمن الحيف ان يهمل شأنه ويخشى عليه من الضياع اذا نشر في مقالة منفردة شأن الكراريس المبعثرة في زوايا دور الكتب فيضنون عليها بالذكر في فهارس المكتبة لضآلة حجمها وقصر موادها . اما اذا دخلت في مجموعة قيمة فتحفظ وتكون مرجعاً سهل المطالعة في حلقات السنين لا سيما اذا اشير اليها في الفهارس .

وعربنا في الوثائق ما رأيناه مفيداً لما كتبته الرواة الغربيون عن حلب في كتب اصبحت عزيزة الوجود بعيدة المنال عن العامة وهي في المكتبة الشرقية.

ولما كان الاسقف رئيس الطائفة وراعيها فباسمه وضعنا تقسيم الازمنة بين جلوسه ووفاته وربما فرغ الكرسي الاسقفي لمدة ما فاضفنا سني الفراغ الى مدة الاسقف الذي سبقها او تلاها . واكتفينا برسم التواريخ كما بين ١٧٣٢ و١٧٦١ . واخذنا عن كامل الغزي وراغب الطباخ الاخبار التي لها رابطة مؤثرة في حياة المسيحيين. واشرنا في كل خبر من الاخبار الى مصدره وما لا يشار الى مصدره هو من قلمنا .

وضربنا لائحة المصادر في آخر الكتاب .

من ١٦٠٦ الى قدوم المطران الياس الاهدني

١٦٣٨ - ١٦٥٩

[١٦٠٦] في هذه السنة كان تغيير حساب الصوم الكبير وعيد الموارنة في طرابلس وبشري وجبيل والبترون عيد الرسل مع اللاتين قبل الطوائف الشرقية .

١) راجع بطرس روفائيل : اليد المارونية في ارتداد الكنائس الشرقية . تعريب الاب اغناطيوس طنوس الحدثي . المطبعة المارونية حلب ١٩٣٦ ص ٢٥٩

٢) هذه الرسالة وضعناها في ذيل الكتاب.

بشرة يوم ثم تدرج هذا الحساب في الشام وحلب وسائر المدن والبر ما خلا جزيرة قبرس واشرف على نشر استعماله في حلب المطران يوحنا بن حوشب الماروني تلميذ رومة . (دوبهي)

[١٦٠٧] عصبص [كذا] النصراني ولد كيورك اوقف جب ماء لكنيسة النصارى في محلة الجديدة . (غزي ٢/٦٥)

[١٦١٢] ملاتيوس كرمه مطران حلب على الملكيين طبع في رومة الكتاب المقدس ثم الافخولوجيون والسواعية . (كارالوفسكي ١٠٤)

[١٦١٤] وضع قنصل البندقية بياناً عن حركة التجارة في حلب. فكان الحرير والصوف يُتاجر به مع البندقية والجوخ والشبغ مع فرنسة والعنبر والزنبق والزنجفر والحديد والنحاس الاصفر واسلاك النحاس يتاجر بها مع هولانده والقصدير مع انكلترة . (سوقاجه ٢٠٢)

[١٦١٦] وسع الارمن كنيسة الاربعين شهيداً بفضل بدروس وسانوس الاخوين اللذان اوقفا ايضاً على الكنيسة كتباً منمقة مزينة بالاحجار الثمينة : كتاب الاناجيل وكتاب الالحان . (سوريان ١٨)

وكان الخواجه سانوس الارمني الوجيه مدير مصلحة الكمارك .
(سوريان ٤٥)

[١٦٢٠] توفي خُشدور رئيس اساقفة الارمن ودفن في كنيسة الاربعين شهيداً بالقرب من كنيسة مار الياس الموارنة . (سوريان ٣٥)

[١٦٢٥] في هذه السنة زار حلب بيترو دلا قاله Della Valle وخص كنائسها بوصف لم يأت به غيره من الرواة . جاء من بوّابة الياسمين ووجد للارمن كنيستين الواحدة باسم العذراء القديمة والثانية باسم الاربعين شهيداً . وللروم كنيسة القديس نقلاوس وللموارنة كنيسة مار الياس والكنائس الاربع فتحتها على فناء واحد يُخرج منه الى الطريق .

وهناك كنيسة كبيرة للسريان تحت اسم السيدة وعندها مقام البطريرك .
(رباط وثائق ١ ، ٣٨٤
ريتر ١٧ ، ص١٧٤٣)

وفي هذه السنة دخل حلب الاباء الكبوشيون وكان رئيسهم الاب باسيفيك فاشتغلوا بالوعظ والارشاد والتأليف وعربوا الكتاب المقدس وجمعوا كتباً

مخطوطة . ثم ارسلوها فيما بعد الى بيروت ففقدت في الحرب الكونية الاولى ١٩١٤ — ١٩١٦ . (غراف ١٩١-١٩٥)

وبقايا دير الكبوشيين في حلب موجودة الى يومنا في خان المبيسر في غرف يحفظها السادة يوخه فيها الدور وبعض الاوانى للخدمة الدينية .

وفي هذه السنة دخل الآباء اليسوعيون حلب . واتخذوا مقامهم في خان البنادقة وفتحوا فيه معبداً للاخويات. وصورة الاخوية لا تزال محفوظة الى يومنا في بهو الخان الكبير في علية وقد تحولت الى دوائر تجارية كانت بيد السادة رفيع اخوان لما زرناها حوالي ١٩٤٠ . اما الآباء اليسوعيون فلم يخرجوا من هذا الدير الا بعد الغاء رهبانيتهم سنة ١٧٧٣ اذ يحل محلهم فيه الآباء اللازاريون .

[١٦٢٦] في هذه السنة نسخ الشماس استفازادور الارمني كتاب «الفوائد» باسم الاسقف خوكاز رئيس اساقفة حلب . (سوريان ٣٢)

[١٦٢٧] مر بحلب الاب فرنس كاريسيموس مندوباً رسولياً الى الكلدان النساطرة . (غراف ٤ ، ١٧١)

[١٦٢٩] ارسل البطريرك يوحنا بن مخلوف المطران اسحاق الشدراوي زائراً الى حلب ووسيطاً بين المرسلين الغربيين والموارنة. (كارالوفسكي ١٠٨)

وفيها ١٦ نيسان قدم الى حلب الاب فيليب الكرملي ونزل في خان الافرنج وتزود بالحاجيات للقيام برحلته الى بغداد فايران فالهند وسيعود عن طريق الاناضول . ويكتب اخبار رحلته وفيها التعليمات القيمة على الحركة التجارية الشهيرة في ذلك العهد بين الشرق والغرب عن طريق حلب وكان الحمام الذاجل ينبئ تجار حلب بقدوم قافلته وبما كانت تحمله من البضائع .

وكان الكمرك اذ ذاك في ايدي اليهود وهم يتقاضون عنه الاموال الوافرة لحساب الحاكم . ومن اخبار الاب فيليب ان اليهود سجنوه ليبتزوا منه المال لعلمهم انه آت من الهند وافرجوا عنه بواسطة احد التجار الذي سد جشعهم من المال وكان يحمل معه من الالماس ما كانت قيمته عشرة آلاف ريال .

(رحلة الاب فيليب الى الشرق ص ٥٧٠)

[١٦٣٠] وجه المطران ملاتيوس كرمه رسالة رعائية الى المؤمنين في حلب بمناسبة وقوع الطاعون . (غراف ٣ ، ٩٢)

وفيها انتقل من حلب الى ديار بكر يوحنا الرهاوي الارمني . كان رجلاً دينّاً عالماً بعدة لغات. اشرف على تأليف الكتب الليتورجية. (سوريميان ٢١)

روى شقاليه دارقيو وهو في حلب ان السلطان مراد امر بنقل المدافع منها الى بغداد لحصارها . (مذكرات ٦ : ٤٤٣)

[١٦٣١] فتح الاب كيرو (Queyrot) اليسوعي مدرسة في الجديدة بجوار كنيسة الروم واغلقت بعد ١٥ شهرًا . (رباط ١ ، ٣٨١)

[١٦٣٢] ٦ ايلول ارسل ايضاً الاب مانجيليه اليسوعي الى الاب ڤيتللسكي تحريرًا شكا فيه ضيقة كنيسة اليسوعيين وتكلم عن تأسيس اخويتين. (رباط ٢ ، ص٤٧٦)

وفي هذه السنة نسخ الشماس استفازادور الارمني كتاب الاناجيل عن طلب بدروس چلبي وعلى نفقته . (سوريميان ٣٢)

وفيها ١٠٤٢ هـ وقع الطاعون في حلب وكان يخرج في اليوم الواحد الف جنازة وازيد . وبلغت اجرة الحمل ديناراً. وخرج في يوم واحد ١٨٠٠ جنازة. هذا ما رواه راغب الطباخ في اعلام النبلاء (٣ ، ٢٤٤) .

وكثر ما وقع على مدى الاعوام وبا. الطاعون في حلب . وربما شمل الديار الشامية . .

في كتاب مخطوط «مجموع» من كتب المكتبة الظاهرية في دمشق ورقة ٢٦٠ الى ٢٦١ (فهرس يوسف العش) مطبعة دمشق ١٣٦٦ هـ — ١٩٤٧ م عام ٢٤٠ ، ص١٠١) صورة مكتوب ارسله (من غير تاريخ) الشيخ علي الدباغ الحلبي نزيل دمشق لبعض اصدقائه في حلب . وصف فيه ما شاهده في سفره من حلب الى دمشق عن فتك الطاعون في البلاد . والوصف فيه تكلف باهظ باساليب البديع القديمة على نسق مقامات الحريري . رأينا خيرًا في اثباته على علاته في هذا المقال ولا ادري انه نشر بالطبع ومنه تُعرف النكبة التي حلت بالبلاد .

« ذكر الاخ ان اخبره عن حالي . الحالي جيّدة ببنات الايام والليالي . وما

لقيت في حلبي وترحالي . فجملة الحال اني خرجت من حلب[1] بعد ان طُمنت. بقصد الطلب لا الهرب[2] . فرأيت الطاعون قد طمى على اهل طومان[3] واهال من دوحة شبابهم عذبات الاغصان . وطرح من اهل آنس ما لم تبلعه قتلى البوس وداحس . وعرّا المعرة من حصه . ابقت في القلوب غصه . ولم تبحم حماه من حِل حماها . ورخت النواعير فولهت عزايم اهلها وقواها . وذرفت من العاصي دموعاً تحيل التراب في الارض امواها .

«واما حمص ففيها الملحمة الكبرى . وقد ضمت من ابناء حلب شطرًا[4] . فعانقت منهم كل غصن رطيب . وتخطّى ذلك لاهلها فأخذوا بلوفر نصيب . وفرق ما بين الولد والوالد وتيقنوا ان ليس حي على المنون بخالد وان كان فيهم خالد[5] . الا ان عيش فقيرهم في هذا الفصل في ظلال التفقل والنوك . خير من عيش العقلاء والافاضل ولو كانوا ملوك . وحتى لاهل حسبة[6] حقبات اعادت تلك الطفاة رفات . وقرّ بقاره[7] . وجمل فيها قراره. والجأ اهل النبك. لانشاد قفا نبك. مع ان بردهما[8] كاف. في ازهاق النفوس والاتلاف. فاجتمع هناك الداءان . واختلفا ورغا اصطلحا على انسان . وبالغ كل منهما في فعله وآذى . وسئل عن موتاهم فقيل شيء من هذا وشيء من هذا . وقطف من حديقة القطيفة[9] رياحين ووردا. وحشى بنار الحزن قلوب اهلها فقلوها طالبين منزلًا جديدا . وجاس خلال تلك الديار حزنها وسهلها . ودخل المدينة[10] على

١) قد يكون صاحب الرسالة قد سافر من حلب الى دمشق ومنها يكتب ما يكتبه الى «الاخ» المراسل .
٢) اي اني سافرت لبعض اشغالي .
٣) خان طومان قرية كانت من محطات السفر بين حلب والجنوب .
٤) قد يكون بعض سكان حلب هجروها الى حمص هربًا من الطاعون ولم ينفعهم الهرب .
٥) وان كان خالد بن الوليد فلا بد له من الموت ؟
٦) الحسبة اي دفن الميت .
٧) قارة قرية في مديرية النبك محافظة دمشق .
٨) البرد فيها قارس جدًا .
٩) قرية في مديرية جيرود محافظة دمشق .
١٠) مدينة دمشق الشام ؟

حين غفلة من اهلها . فتشاءم على اهل الشام . وتشامخ وتعاظم على اولئك الاقوام . واخذ سرداوات القلوب وحباتها . وفصل تلك البلاد من هالاتها . وامال ميس تلك الغصون واوردهم بعد ان صدروا عن مياه الجمال موارد المنون. وزال غشي بصايرنا فرأيت كل اخص فوق هام[1] وتحققت ان كل قضيب ينبت في الف قوام . وخلت منازل الشام من مطالع تلك الاقمار . ففرّ من تلك الظلمة كل غريب ولبلده سار . مصاحباً باذى الصياح . بدلاً من تلك الوجوه الصباح . قد سد سمعه عن دخول اللوم . ما سمعه من الصراخ والصياح. ودرى بعد ذبول تلك الاغصان ان غناء الحمام بكاء ونواح . فكم من مليح توسد الارض بعد ان كانت تفرش له الخدود والجباه. ويستوقف النظر حسنه فيقال اذا بدا ربي وربك الله . رجع الى الارض التي هي بمنزلة امه وابيه . كيف وقد حملته فوق ظهرها واضحت في بطنها تحويه. وكم عارف بابواب العلم كبير. قد تضمنه الباب الصغير . سلّه البين منا . وكان لفظاً فصار معنى . وكم خدت بمجالس الذكر وجليس . اختار الجلوس خارج الفراديس . وكم عاشق فارق احبابا . فتمنى ان يكون ترابا . وكم هارب اعتصم بالشام وجبالها فلم ينل مناه . وجاءته منيته تتلو « لا عاصم اليوم من امر الله »[2] . عم [الطاعون] وواسا القطر الشامي فانسى الجارف وعمواس[3] . واستعجل على المرضى به فلا طبيب لهم ولا آس . نعم قد استجاد ابناء حلب فاخذ منهم بالقدح المعلّى . واختار كل شهم يسمو على الفرقدين محلا . وبلغني انه دخل [بلاد] الروم ونال ابناؤها ما يروم . وحنّ لمصر حنين الغريب الى الوطن . فالحق ارواح مؤمنيها بخيرها العلوي والسكن . فهو في اقطار الارض طائف . لا يبيت كل حيّ منه الا خايف . واذا كان حصوله بدعاء الرؤف الرحيم. فلا يسعنا الا التصديق بالحديث والرضى والتسليم . فاقنع ايها الاخ بهذه العلالة[4] . وسوف نهدي لك

---

١) الحس اي القدم اي ان قدم الميت كانت تمس رأس الميت الاخر .

٢) القرآن سورة هود الآية ٤٣ منكيه .

٣) عمواس او عماوس : بلدة في سهل اليهودية (فلسطين) حدث فيها الطاعون الجارف مات فيه نحو ٢٥ الفاً سنة ٦٣٨ م .

٤) ما يتعلل به .

في حوادث عامة رسالة . فهو ابو العجائب والعبر . وفي كل يوم منه تبدو حادثة وخبر » .

[١٦٣٣] حدثت فتنة الانكشارية واضطرب جبل الامن . واغلقت كنائس الافرنج الكبوشيين واليسوعيين وختمت ابوابها بختم الباشا . وسجن اب واخ من اليسوعيين ولم يفرج عنهم الا بدفعهم المال . (رباط ٢ ، ٤٨٣)

وكان بدير الاباء اليسوعيين الاخ بيشان قد حضر من ٢٨ كـ٢ واخذ بالاهتمام بامور الدير. وفي هذه السنة اوقف الاسقف ملاتيوس كرمه على كنيسة السيدة في حلب كتاب تفسير الانجيل يوحنا البشير ليوحنا فم الذهب . تعريب عبد الله ابن الفضل الانطاكي المتوفى ١٠٥٢ . (رباط ٧٧٨)

[١٦٣٤] (٤ شباط) قبض قرصان الترك على سفينتين محملتين بالبضائع الى تجار حلب الافرنج فتضرروا بذلك كثيراً . اما التجار الحلبيون فيتقاضون ٢٤ او ٣٠ بالمئة اجرة على شحن البضائع . (رباط ٢ ، ٤٩٠)

وفيها صدر الامر من ملك فرنسة الى قنصله في حلب بايقاف حركة التجارة طالما الاتراك يتعسفون في معاملاتهم دون اعتبار شروط المعاهدات الاجنبية .
(رباط ٢ ، ٤٩٠)

٨ آب توفي بحلب الاخ فلوريدوس بيشان (Bechêne) اليسوعي في عنفوان شبابه وكان قد احتمل مشقات واتعاباً كثيرة في سفره بالبحر وفي اشغاله في الدير وكان مثالاً لاجل الفضائل بوداعته وتواضعه ومثابرته على العمل .
(رباط ٢ ، ٤٩٦)

وفيها (٢٤ ايلول) ارسل الاب مانيغلية (Maniglier) اليسوعي من حلب الى الاب قيتلسكي في رومة كتاباً وصف فيه حالة الطائفة المارونية واحتياجها الى اسقف محلي لانها كانت تعود في ذلك العهد بامورها الى البطريرك مباشرة فيرسل اليها حيناً بعد حين الزوار من قبله وكانت المسافات والاسفار والمشقات تحول دون حضورهم في الزمن الموافق وكانوا يقتصرون الاقامة في خدمة الرعية فلا يتسنى لهم ان يقفوا على احوالها بالتفصيل وربما رسموا كهنة من اهل العامة شباناً ليس فيهم الاستعداد الكافي لهذه الدرجة المقدسة. (رباط ٢ ، ٤٩٤)

[١٦٣٥] وردت الاوامر السلطانية بابطال التدخين بالتتن والتنباك وتودي على من يشربها بالقتل . (غزي ٣ ، ٢٨٠)

وفيها توفي البطريرك ملاتيوس كرمة متروبوليت حاب على الملكيين . (غراف ٣ ، ٧٩)

وفيها (٢٧ ت١) جلس يوسف بن الزعيم اسقفاً على كرسي حلب للملكيين وسمي ملاتيوس . (غراف ٣ ، ٩٤)

وفيها (٢٠ ك١) كان يعلم الاب كيرو اليسوعي احداث الملكيين والموارنة مبادئ القراءة وله عشر سنوات في هذا العمل المبرور .

وفيها يعقوب بن يونس وقف ذرية على الفقراء مستغلات من الدرجة ٧ . (غزي ٢ ، ٥٣٦)

[١٦٣٧] اخذ الروم الملكيون يشدون رابطة علاقاتهم مع الكرسي الرسولي . وارسل احد الحلبيين منهم يطلب من رومة تفسيحاً في الزواج . (كارالوفسكي ١٠٤)

وفيها ولد في حلب رزق الله امين خان وهو الذي سيخلف المطران اندراوس اخيجان على كرسي السريان بحلب وسيكتب ردوداً على البطريرك غريغوريوس اليعقوبي . (غراف ٤ ، ٤٧).

وفيها الشماش استفازادور الارمني نسخ كتاب مسك الدفاتر عن طلب الكاهن دير اوهانس اخنديغلو بحلب . (سوريان ٣٢)

[١٦٣٨ م / ١٠٤٨ هـ] قدم السلطان مراد خان الى مدينة حلب بعساكر متوافرة ما انقطع لها وتر بمدة اثني عشر يوماً قاصداً الى بغداد لمحاربة العجم . وعندما قدم السلطان الى حلب كانت كنيسة الموارنة في بابلس خربت والتي بحلب احترق سقفها مع الدرابزين . فاخذوا خاطره وامر في عمارها . فموارنة حلب جددوا كنيسة ماري الياس والارمن عمروا كنيسة بابلس لتكون للطائفتين شركة . (راغب الطباخ ٣ ، ٢٥٣)

وفي هذه السنة كان في حلب تافرنيه الرحالة الافرنسي . خبّر عنها في كتابه المجلد الاول وافادنا خاصةً في وصف دخول السلطان مراد البلدة وكان في طريقه الى بغداد حيث كان الجيش العثماني ينتظره لمهاجمة الفرس . لما اقترب من المدينة في

مسافة نصف مرحلة خرج الى لقائه الدراويش والقى رئيسهم خطاباً ثم تقدم اثنان من الدراويش فضربا السلام واخذا يدوران ويرقصان وهما يغنيان امام السلطان الى القلعة وهو على صهوة جواده وصارا يرغوان ويزبدان فتعجب الناس لرؤيتها . وقدم الباشا من القاهرة مع الفين من الانكشارية وكانت صفوفهم منظمة وثيابهم جميلة ثمينة : السراويل الحمر ، الجوخ الانكليزي ، القسطان التركي ، القميص بلون سبع ملوك ، الزرار مذهبة وعراها مطرزة بالحرير ، الزنار والسيف مصفحان بالفضة وكان الباشا لابساً ثياباً بسيطة كانه اراد الكسوف لئلا يحول نظر الناس الى نفسه عن السلطان . وكان حصانه يسير وراءه مطهماً مرصعاً بالمجوهرات . (تاثرتيه ١ ، ١٩٣)

وفيما حضر الى حلب المطران الياس الاهدني ولا نعرف هل كانت مدة اقامته فيها طويلة ولكن على ايامه ازدهرت الاخويات وبدت مظاهر الحياة المسيحية بنشاط ذكره محفوظ بوثائق قيمة منها التحرير الذي ارسله متقدم الاخوية ميخائيل بن دانيال وكاتبها ايوب بن جبرائيل يطلبان فيه الى الرئيس العام اليسوعي ان يشرك اخوية الجبل بلا دنس المارونية بالاخوية الرئيسية الرومانية ويصفان فيه حالة بلدهم الدينية واليك نصه مع اصله المصور اخذاً من خزانة مخطوطات دير اليسوعيين في رومة وهو بلغته الركيكة وبمعانيه الروحية كانه صدى لعظات الاباء المرسلين الافرنج « ولسانهم الثقيل » وغيرتهم المتقدة .

الى حضرت جناب الرئيس المكرم المبجل
الرئيس العام على جماعة اليسوعية الاب موسيوس ويتلسقوس
حفظه الله تعالى.

الاتفاق في اجتماع بعض الناس على ان يلجوا الى وكالة العذرى الطوبانية بحرص خاص ويستغيثوا اليها استغاثة جسيمة في حمايتها المقدسة ليس بامر مسموع في هذه الارض فقط بل ما كان في العادة لاحد عندنا ان يسلم عليها بالسلام الملائكي والان بنعمة الله تقدس اسمه وباجتهاد آباء جماعتكم المكرمة ما يقول فقط ورديتها خلق كثير اكراماً لها مثلما جرى على مجرى الروماني بل يرغب قوم من هذا البلاد رغبة عظيمة ان تنكتب اسماءهم في دفتر عباد العذرى الذين يعبدونها عبادةً خاصةً : لو كانت حسناتها بقدر ما تقدر عليه النطنة الانسانية على ان يفكر فيها فعلينا بالاشتياق الى تفي عبوديتها : والحال ان حسناتها اعظم ان تدرك عظمتها . فواجب علينا ان نضطرم بشوق شديد الى خدمتها ومحبتها : انما هذا من

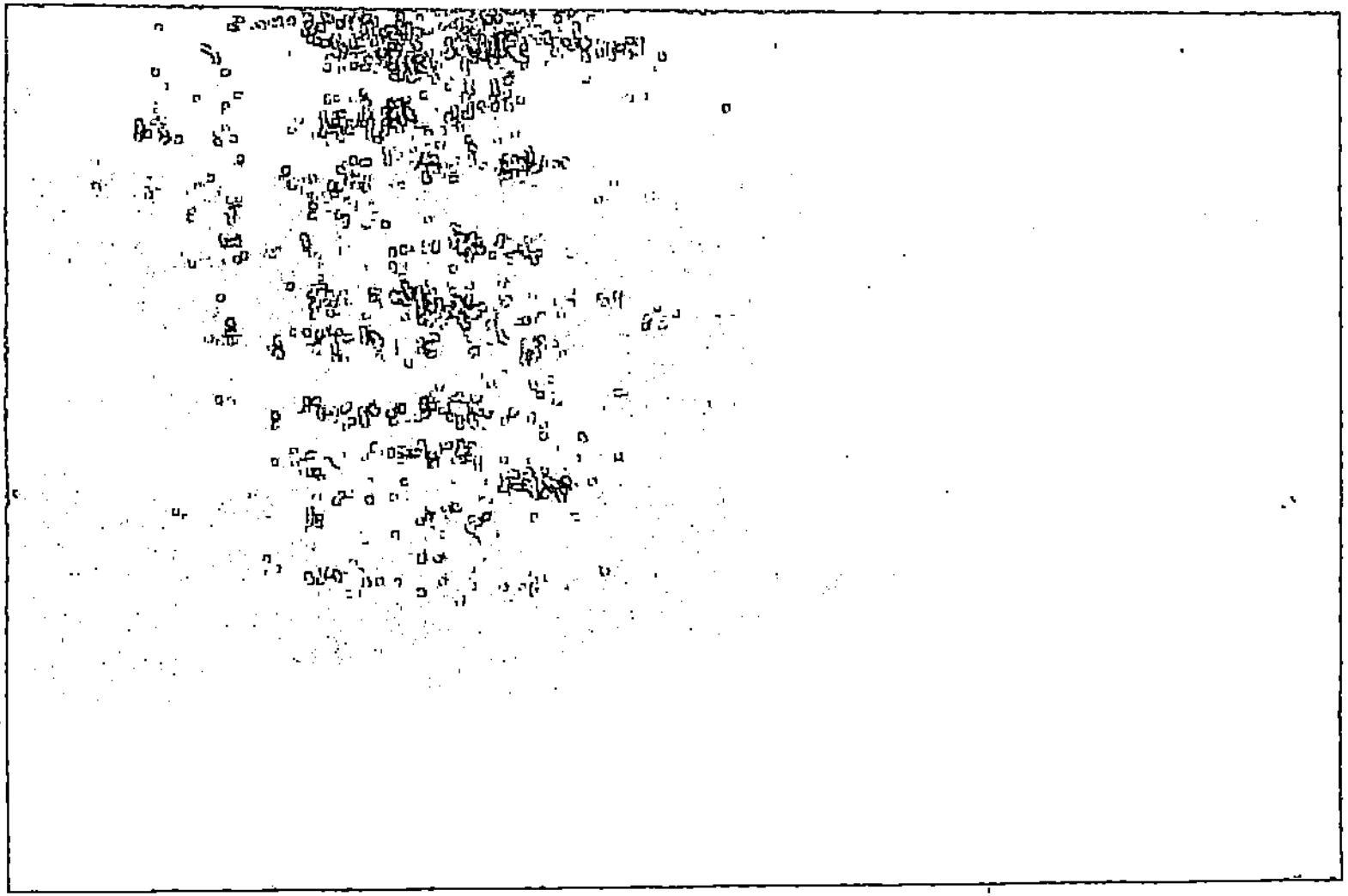

الحقوق التي يجتمع على صدقها كل واحد من الصالحين وهو راض بحاسنها كقولك كل من كان للذرى عبدًا لن يدركه الهلاك ابدًا ولو كان هذا وحده فيقبل ان نستحي على تأخرنا في طلب الى فضل ابوتكم المبجلة : باقتران جماعتنا التي وصفناها من الذرى التي حبلت بسلا عيب مع الجماعة الاولى الرومانية ولكن احسن المقير مع التأخر من عدمه الى الابد . واما لكيلا نتكر لنا قداستكم المكرمة هذه النعمة : فلتذكر اننا ساكنين في اقطار تلك الارض التي لا نجد فقط اسرار خلاصنا بالكلية من اكثر الناس بل انتهى الامر الى ذلك الجهل عند طايفة معروفة بالاكراد ان يتبرموا في خدمة الشيطان اكثر عبادة من خدمتهم لله سبحانه لانهم لم يخافوا من الله في الشدايد مثلما يخافوا من الشيطان . قد تمسكوا في تلك اللجة ذلك فريق الشقي بسبب بُطلانهم كلام الله الذي من زمان تعود فقدانه عندنا الى الغاية نحق انّ من جاء الينا من الرهبان المقاربة ليكتروا لنا الخبز السماوي سموهم مدة اوليك الذين كان هذا الامر الزم عليهم ومن حق خدمتهم تكثيره .

اما نحن بعد الظهر الذي في ايام الحدود وقت الذي تلعب اهل العامة : قد زمنا في الاجتماع بالجماعة لنسمع الوعظ في اقوال الله وتتواتر في تصرفات غيرها من العقلية وبدينا بنشاط واجتهاد في هذا منذ اليوم الثاني وعشرين من نيسان. في هذه السنة ١٦٤٠ بعد ميلاد سيدنا يسوع المسيح . ومن ذاك الزمان ظهر لنا ان بلغتنا زيادة المنفعة والغربة الرومانية بقدر ما تحسن ان تنطق به : ولذلك نتضرع تضرعًا كليًا الى ابويتكم العزيزة بان تنعم علينا بغير ذلك الاقتران ونحن متوكلون على اتمام شفيعتنا المقبولة قدام الله اننا نكون على حال تريده قداستكم المكرمة نكون عليه في قبول وعدك النعمة التي نحن عجزنا على ردها : الباقي والسلام : سُطر في مدينة حلب الشهباء في اليوم ٢٩ من شهر تموز من شهور السنة ١٦٤٠ بعد ميلاد سيدنا يسوع المسيح .

لقداستكم المبجلة المكرمة العباد المتواضعون الحقيرون
ميخائيل بن دانيال مقدم
ايوب بن جبرائيل الكاتب

ومما شجع اليسوعيين على النشاط في خدمة الاخوية انهم كانوا في السنة ١٦٣٩ يحتفلون بذكرى اليوبيل المئوي لتأسيس رهبانيتهم ولم تكن اتعابهم الرسولية في سماع الاعترافات والوعظ والتعليم المسيحي لتحول دون انصرافهم الى تأليف الكتب التي كانوا بامس الحاجة اليها فيؤلفون وينسخون بيدهم بعضها وغيرها يسعون في طبعها في اوروبة ما امكنهم السبيل الى ذلك.. فيرغب الاب اليو كتاب العبادة للقديس يوسف وكتاباً ضخماً عن «محمد والقرآن» وكتاب الكمال المسيحي للكردينال ريشلو لاستعمال الاخوية وغير ذلك من الكتب التي ضرب الاب شيخو لائحتها في كتابه عن المخطوطات المسيحية .

(راجع زباط ١ ، ٤٣١)

[١٦٤٥] كانت كنيسة مار الياس الموارنة الملجأ المعتمد عليه لابناء الكثلكة كهنة ورعايا للقيام بواجباتهم الدينية فيتزاحمون عليه وربما توترت العلاقات بينهم كبين سائر البشر اذا ما ضاق بهم ميدان العمل فيبلغ امرهم الى البطريرك يوسف بن حليب الساقوري فيتدخل في شؤونهم الى حدود قد تتجاوز الاصابة مما يؤدي بمجمع انتشار الايمان الى ان يكتب للبطريرك في ٥ كانون الاول ١٦٤٥ :

« انه لا بد من انذاره انه لم يكن بوسعه ولا من واجبه ان يرشق بالحرم الموارنة الذين ينالون الاسرار عن يد المرسلين فلا بدّ له من ان يرفع ذلك الحرم المضر بحقوق الكرسي الرسولي . على ان الرعايا الموارنة ملزومون بتأدية العشر لرئيس طائفتهم وبحفظ الصيامات المفروضة عليهم . وقد يكون مناسباً جداً ان يتناوب المرسلون بالوعظ في الكنيسة المارونية » (وثيقة بحفوظة عند السيد طوني مركوبولي في حلب) .

وارسل البطريرك الماروني الى المطران الياس الاهدني التعليمات اللازمة وفقاً لما جاءه من تقرير مجمع انتشار الايمان ومنه ايضاً وثيقة مؤرخة في ١٦٤٩ جاء فيها بان يكون نظام الوعظ في كنيسة مار الياس الموارنة في حلب بالتناوب اسبوعاً فاسبوعاً كما يلي اولاً دور اليسوعيين ثانياً دور الكبوشيين ثالثاً دور الفرنسيسكان رابعاً دور الكرمليين . (وثيقة طوني مركوبولي)

وكان في حلب رجل الخير العظيم القنصل فرنسوا بيكه سنداً للطوائف المسيحية وبينه وبين ابي نوفل الخازن قنصل فرنسة بالنيابة في بيروت المخابرات وشأنها تخفيف المظالم التي كانت تنكب الرعايا في حكم الباشاوات الاتراك وتسهيل مهمة المرسلين في مساعيهم .

وفي ١٦٤٩ كتب البطريرك الماروني يوحنا الصفراوي تحريرًا الى القنصل بيكه في الشؤون المذكورة ويظهر منها ان المطران الياس الهدناني كان اذ ذاك غائباً عن ابرشية حلب وقد ترك شؤونها الى البطريرك وهذا يعهد بامرها الى الخوري يوحنا البشراني كما ترى في الوثيقة التالية عن أصلها الكرشوني :

(مركوبولي)

يوحنن
فطر فطه"
انطيوكيا م [كذا]

حفظه الله تماً امين
الى حضرة الفضل المكرم فرنسيس يكوت

سلام ربنا وسيدنا يسوع المسيح وبركته ونعمته تكون مع حضرة المشار اليه اصبغ الله جزيل انعامه عليه امين . وبعده اولاً نزيد الاشواق الى رويتكم في كل خير وعافيه والثاني في ابرك الاوقات ورد الينا مكتوبكم صحبة مكتوب عزيزنا الشيخ ابو نوفل مع البادري بروتا وقرايتام وفهمنا مضمونهم وحمدنا الله تعالى الذي انتم بخير وعافية. ونحققنا ان حضرتكم تنظر كلي على طايفة الموارنة جعلكم الله دايمين ويقدركم على عمل الخير وجميع ما اشرتم فيه هو بين الصواب والاصلاح لطايفتنا . ونعرفكم بان وكلنا الخوري يوحنا البشراني ابن قاره (؟) على القسوس والرعية الذي في محروسة حلب في جميع امور الكنيسة ويكون مقام الحرمة ومسوع الكلمة فلا احدٌ يطاع له من خلاف في جميع امور البيعة المقدسة . وكذلك ماشرين من خصوص الكرز قوي مليح لكن الذي يريده الخوري يوحنا المذكور من الرهبان الافرنج يكرز بعد قراية الانجيل المقدس وبغير امره لا احد يجاسر يعمل شيء في امور البيعة . ومرادنا من حضرتكم ان يكون حسن نظركم على الخوري المذكور وعلى الطايفة ومهما فعلتوا معهم من الخير والتدبير الحسن يبقا لكم بذلك الاجر والثواب عند العزيز الوهاب ومهما اعرض لكم بهذا الجانب من المصالح نُقضي انشا الله تعالى والذي ارسلتوه وصل لا زلتم متفضلين الله يكثر خيركم ويزيد بركته عليكم . وبعد تجديد البركة والسلام عليكم وعلى كل من يلوذ بجنابكم والسلام .

كتب في دير مار شليطا من بلاد كسروان
في رابع يوم من شهر شباط من شهور
سنة (؟) مسيحية

على ايام المطران يوسف الحصروني
١٦٥٩-١٦٦٣

وجلس على كرسي حلب الماروني المطران يوسف الحصروني (١٦٥٩—١٦٦٣) وكانت قد هدأت الخواطر بعد الملاحظات التي صدرت عن رومة لتمهيد سبيل العمل للمرسلين وكان الحلبيون يقدرون وعظهم ويشكرون لهم تضحياتهم وراتعابهم في خدمة الانفس ولكن الطاقة الاهلية كانت تشوقهم الى الحصول على واعظ حلبي من ابناء بلدتهم .

وفي ذلك العهد كان احد الآباء اليسوعيين اسمه يوسف العينتوريني قد ولد في حلب في ١١ نيسان ١٦٣٤ او (١٦٢٩) وتعلّم في مدرسة رومه ودخل الرهبانية اليسوعية في ٥ ايار ١٦٤٨ وكان صديقاً لرئيس الآباء اليسوعيين في حلب الاب بسون صاحب كتاب « سورية المقدسة » وقد نقله الاب عينتوريني الى الايطالية (١٦٦٠—١٦٦٢) فمن الطبيعي ان يتصل الموارنة الحلبيون بالاب يوسف بسون ويطلبوا الاب يوسف العينتوريني الحلبي واعظاً ومرشداً في مسقط رأسه .

واليك صورة الكتاب الذي ارسلوه (اخذاً عن مخطوط صوروناه على الاصل في مكتبة دير اليسوعيين رومة) الى الاب اوليفا الرئيس العام من ١٦٦٤ الى ١٦٨١.

الى حضرة الاب المكرم والحبر المعظم بولص اليوا ريس اليسوعيين حفظه الله واطال بقاه وكيلين واكابر طايفة الموارنة فلما توجع حضرة سيدنا بترك الموارنة الحبر الجليل المعجد بعض الاسباب لبعض الاباء المرسلين الى مدينة حلب لذلك منهم من الاعمال الرسولية في كنيسته نحن تأملنا اليسوعيين وجدناهم سالمين من اسباب الشكوا ومن قديم الزمان عملوا خيرات كثيرة مع جماعتنا وما تركوها ابداً بل بالغيرة الفايقة زادوا مجد الله تعالى كما ازدادت غيرتهم على جميع الطوائف ولهذا نطلب من كرمكم اثرايد ان تبشوا ابونا انوريتوس (عينتوريتوس ؟) الى عندنا حتى يكرز في الكنيسة ويدرس التلاميذ ويعمل جميع الظاهر ويلينا بين الشدايد ويثبتنا بالصبر على المصايب ويلتم قومنا معا يحتاجون ويرد على اثناء بلد ما اخذ منه توسلنا الى ابونا يوسف ريس اليسوعيين بمدينة حلب ان يفسر لكراهتكم جميع اسباب طلبتنا لكن نطلب هكذا حتى لا يكون لنا مراد الا مرادكم ورضاكم ان وافق تدبير خدمتكم ارادتنا ارادتكم وطايفتنا الكلية مكرمه [مكرسه] لليسوعيه تريد الشركة في صلواتكم ونحن خاصةً عبيد فضلكم العميم جعله الله على الدوام ولكم العمر وطول البقاء والسلام .

وكلاة طايفة الموارنة في محروسة حلب

مدينة حلب	الفقير يوحنا[1]	الفقير الحاج
ثلاثة وعشرون	ابن صناع	يعقوب بن بركات
شهر نيسان	[محل الختم]	[محل الختم]

١) يوحنا . يفيدنا ان نعرف بان المستشرق غالان في تحصيله مخطوطة كتاب « الف ليلة وليلة » استعان برجل ماروني من حلب اسمه حنا وقيل انه كان راهباً ماروناً فلا يبعد عن المعقول ان يكون نسيباً ليوحنا وكيل الطائفة . راجع الانسكلوبيدية الايطالية في مادة *Hanna* اما اسم صناع واسم بركات فشائع في شمالي لبنان الى يومنا . وترى من ثم الرابطة بين موارنة حلب وبين موارنة الشمال السوري .

ولم يُرسل الاب عينتوريني الى حلب وظلّ في رومة وايطالية منصرفاً الى الوعظ وسوف يموت في ٠الطة في ٢٤ كانون الاول سنة ١٦٨٦ .

ولكن العناية الالهية عوضت الحابيين عنه بالرجل العظيم الذي سيجلس يوما على الكرسي البطريركي الماروني اسطفان الدويهي .

كان قد ختم دروسه في رومة سنة ١٦٥٥.وسيم كاهناً في ٢٥ آذار ١٦٥٦ وانصرف في لبنان الى التعليم والارشاد فارسله البطريرك الماروني واعظاً الى حلب وهي باشد الحاجة الى علمه وفضيلته فيقيم فيها بين ١٦٦٣—١٦٦٥ ويلقي كلام الله الحي في كنيسة مار الياس ويمتد صوته منها الى ارجاء الضحة المفتوحة عليها كنائس الروم والارمن كما هي في يومنا .

اسطفانوس الدويهي الواعظ في حلب

لقد اسعدنا الحظ بالحصول على كتاب اعارنا اياه سنة ١٩٣٩ وهو في قيد الحياة المثلث الرحمات المطران عبدالله الخوري حوى بين دفتيه سلسلة مواعظ عربية بالخط الكرشوني عنوانه « مواعظ الدويهي » . ليس عليه توقيع المؤلف ولكنّ المقابلة بين خط الكتاب وخط مسودة تاريخ الازمنة المكتوبة بيد الدويهي والمحفوظة في مكتبة بكركي ، وقد نشرنا عنها ما نشرناه في المشرق سنة ١٩٥٠ ، تدعو الى الاعتقاد بان المواعظ المذكورة هي حقيقة للعلامة الدويهي ولا لغيره ويثبت قولنا ما سنرويه من العظة عن مار مارون . اما المواعظ التي في الكتاب المخطوط فهذه عناوينها اخذناها بحرفها :

مواعظ الدويهي

عدد		صفحة
١	ميلاد يوحنا في الرحمة والمنية على الفقراء	١٢
٢	بشارة العذراء	١
٣	زيارة السيدة لاليشاع	١٠
٤	قتل الاطفال	٢
٥	عيد الختانة	١١
٦	الغطاس	١٠
٧	عيد دخول العذراء للهيكل	١٥
٨	عن مارون انه : برج	٨

٩	عن برص المطيئة ثاني احد الصوم	٨
١٠	عن نازفة الدم	٨
١١	عن الابن الشاطر وكرامة الوالدين	١٢
١٢	في عيد مار يوسف	١٠
١٣	في عيد الاربعين شاهد	١٠
١٤	احد الاعمى عن اعمى المطيئة	١٤
١٥	في عيد البشارة ضد اليهود	١٦
١٦	— ؟ ؟	٨
١٧	عن الالام	٨

واننا اخترنا من هذا الاثر الجليل النادر العظة التي القاها الواعظ في حلب. على ما يظهر من بعض التلميحات فيها كما سترى، وموضوعها « عن مار مارون انه برج» فضلناها على سواها مما جاء في المجموعة في الكلام عن اسرار حياة السيد المسيح والعذراء القديسة وغير ذلك من المواضيع التي يعالجها الوعاظ عادة لان الدويهي الذي سيرتقي السدة البطريركية المارونية اظهر في الكلام على مار مارون حبه الفائق لابي طائفته ولانه جاء فيه بضروب الامثال المأخوذة من تاريخ الكنيسة فاحسن روايتها على اختصاره اخبارها شأنه في ما رواه من امثال ذلك في تاريخ الازمنة فتميزت فيها صفاته الثقافية وقد نروي العظة على علاتها الاصلية من دون تغيير في حرفها فتظهر لغتها العربية كما استعملها الواعظ في القرن السابع عشر في زمان لم تكن قد « تنصرت العربية » وكان اتقانها نادرًا بين الادباء حتى المسلمين منهم لان النهضة الحديثة الناشئة من انتشار المطابع وافتتاح المدارس الحديثة لم تكن قد اثرت بعد في تطور اللغة ولا يخفى ان الدويهي كان من لبنان الشمالي حيث كانوا ينطقون بالسريانية ومع ذلك فان سعة اطلاعه ومراجعاته كتب الاقدمين مكّنته من العربية فيستعملها من دون تكلف وجهد لكنه يمزج فيها التعابير المأخوذة من اللغة العامية ولا يضبط في كلامه قواعد الصرف والنحو. اما اسلوبه الخطابي فشايق. يتوسع في ضرب الامثال ويتبسط في تصوير معانيها تصويرًا يقربها من عقول السامعين ويسرّهم. فتح الواعظ كلامه عن دعوة مار مارون الى القداسة ليكون ابًا للطائفة المارونية ويردّ الضالين وتكلم اولًا عن حياة مار مارون واختياره منذ صباه طريق الكمال الانجيلي واعتصامه بالحياة النسكية متقشفًا مجتهدًا بلبس

« الجلود » وبالصيام و« المطانيات » والسهر مجتذباً الناس بامثاله واعاجيبه الى العبادة والزهد باباطيل العالم شافياً الاجساد من عاهاتها والنفوس من ذنوبها . وذهب من ثم مفسراً الآية التي ابتدأ بها مقاله : فالجابرة واسلحتهم المعلقة بالبرج انما هم الرهبان والقديسون الذين تتلمذوا لمار مارون .

وخصّ بالذكر القديسين الذين شرّفوا هذه كورة حلب والقديسات « الحلبيات » طوماينة و[illegible]انة وكوره مما يدل على ان جمهور السامعين قد يكون من الحلبيين فيسرّون لذكرى صالحين الذين عاشوا في بلادهم .

عن مار مارون انه : برج[1]

« عنقك كبرج داوود المبني في المجزعات المعلق عليه الف ترس وكافة اسنة المقتدرين » . (نشيد الانشاد ٤ : ٤)

كلّ بنيان بغير اساس مزعزع وكل قداسة بغير اتضاع متزعزعة .

حبّة الحنطة اذا لم تمت يقول الرب انها تثبت وحدها وان ماتت اتت باثمار كثيرة ، ونفس الانسان اذ هي من ذاتها شامخة ومتعظمة اذ لم تُمت هواها في الاتضاع والطاعة والصوم والصلاة والصيانة تثبت وحدها كالحبة المرباة ، وان ماتت فصارت كالعود المغروس على مجاري مياه النعمة فتعطي ثمرها في حينه .

مار يوانس فاحصاً لماذا الله بعض ناس تركهم في الكفر والهلاك وآخرين اختارهم للبشارى والخلاص يصرخ قائلاً : « ان الذين عرفهم موضعاً لدعوته اياهم من قبل وسم » والذين سبق فوسم ، اياهم دعا ، والذين دعا اياهم برّر ، والذين برّر اياهم مجّد »[2] معنى قوله ان الذين الله رآهم في سبق علمه انهم كانوا موضعاً لدعوته ويقبلون بشارته ويتدرجون في الفضائل اياهم فسبق وسم من قبل تكوين العالم ، والذين من قبل تكوين العالم سبق وسم اياهم دعا من بطون امهاتهم ، والذين دعا من بطون امهاتهم بنعمته اياهم برر برحمته في حياتهم والذين برر في حياتهم اياهم مجد في الملكوت . (اشيا ٤٩)

---

١) نسخناها بالاحرف العربية اخذاً عن الاصل الكرشوني .

٢) روم ٨ : ٣٠

هذا بنفسه نادى به اشعيا النبي قائلاً اصغين لي ايتها الجزائر. وانصتوا ايتها الامم : من بعيد الرب دعاني ومن الاحشاء. ومن بطن امي ذكر اسمي وجعل فمي مثل السيف الحادّ وتحت سترة يده اخبأني ، جعلني مثل سهم مختار وفي جعبته سترني وقال لي : عبدي انت يا اسرائيل وبك اتمجد . ناظرًا الله في سبق علمه ان الاب الطاهر والكوكب المنير الزاهر مار مارون سيكون موضعاً لدعوته ، انه يرد الشعوب الى الطاعة وهو يقيم حياة النساك في بلاد الشام ، وانه يصون البيعة في رهبانه ، فسبق وسمه قبل ان ياتي الى العالم ، من بعيد دعاه من الاحشاء. وبطن امه ذكر اسمه ، وكما الذين دعاهم اياهم برّر ، كذلك جعل فمه كالسيف الحادّ وتحت سترة يده اخفاه ، جعله مثل سهام مختار وفي جعبته ستره وقال له : عبدي انت يا مارون وبك اتمجد ، وفي الحق يا اخوتي انكان من الاثار تعرف الشجرة، ان من تأمل جيّدًا عظم القداسة التي حواها هذا البار ، وكثرة الخيرات التي من اجلها استفادت بها البيعة المقدسة والانعام الجزيلة التي منه وبوساطته نالت وتنال كل يوم طائفتنا المارونية ، يثبت حقيقياً ان ما هو فقط فم ناطق وعامود بيعتنا المقدسة ، كما كل يوم تسميه الكنيسة، «فوما مليلا وعمود دعيتو ديلك قديشتو». بل نعم انه بنا برجاً قوياً في وجه العدو، ولذلك صحّ فيه جيدًا قول الرب الى البيعة عروسته : ان عنقه كبرج داوود المبني [في المجزعات] المعلق عليه الف ترس وكافة اسنة المقتدرين . فأبين لمحبتكم ان البار مارون كان حقاً كالبرج .

وان عليه معلق الف ترس لاجل كثرة (القديسين الذين خرجوا من تعاليمه واشاراته) . وان في هذا البرج المشيد ، كافة اسنة الجبابرة المقتدرين، اي من جميع جنوس واصناف القديسين الذين تشرفوا في بيعة الله ضد الكفار والاراطقة. اعطونا نسطه[1] ! واطلبوا من هذا القديس الطوبان ومن سيدتنا والدة الخلاص ليطلق الله لساني قائلين السلام لك .

٥

القديس مار مارون كان منشؤه من هذا بلاد الشام ، كالذي اختاره الله ، من والدين مسوّرين عابدين المسيح ، تربّى في كافة التقوى ومخافة الله وبعدما

(١) اسموا .

حوى العلوم المفضلة والاعمال الناجحة، وصل الى ملتقى الدروب التي هنّ الشبوبية وبها بيان خلاص او هلاك اكثر الناس . فان من ناحية الواحدة ينظر طريق الخلاص ديقاً[1]، وما يؤدي الى الهلاك وسيعاً عريضاً ، وفيه ثلاثة شباب يدعونه ان يكون لهم رفيقاً : احد هؤلاء هو الجسد ، الثاني العالم ، والثالث هو الشيطان ، الذين هم الثلاثة اعداء الذين يودونا الى الهلاك .

الشب الاول الذي هو الجسد ، فالذي كان اقرب اليه كان يقول له : اعطني يدك يا صديقي وكن لي رفيقاً ، لان في هذا الطريق مواكيل مفتخرة وكروم عامرة وثياب ثمينة وشهوات ولذات لم تعط الا الذي يرافقني، وانكان تريد تمشي في ذلك الطريق الدبق اقول لك الصحيح : ان ما فيه الا جوع وعطش وعرى وزمهرير وهدم الشبوبية .

كان يتقدم اليه الشب الثاني ، وفي يده باقة زهر ويقول له : ان كان تشتهي القضا ، والرضا ان يكون لك اولاد ، ان ترث بساتين وقرى ، ان تقيم زرعاً لبيت ابيك ، ان تاخذ اموال وترتفع بدرجات رفيعة كن رفيقاً لنا ، لأن اقول لك الصحيح : ان الطريق الآخر ما فيه الا حزن وعناء ما فيه الا قلة وديقة ، ما فيه الا كدّ وتعب ، وكما ترى انه ديقاً كذلك لم يمكن ان يدخله الا من كان كالطفل .

ثم تقدم اليه الشب الثالث الذي هو الشيطان وقال له : ان هذه المملكة كلها قد عطيت لي ، فان تبعتني عطيتك مهما اشتهيت من عز وكرامات ، من ولاد ورئاسات ، وان ما ردت توافقنا ، والا انا اقيم عليك كل العالم ، افتح طريق ابواب جهنم ، اشعل فيك نيران الشهوات ، اقلق نومك في الاحلام والخيالات ، وركب كل العناصر ضدك، لتحرقك الشمس في اشعاعها ، لتدفئك اليوم في امطارها، لتقلقك الارض في وحوشها، ولا ترحمك الاهوية في سمومها .

ومن الجهة الاخرى نظر البار مارون درب ديق ، وما فيه الا طفل صغير، التي هي نعمة الله ، فهذا ولو كان حافي عريان ، نظر ان كله كان انوار ، ولو ان باب دربه كان ديقاً ، نظر ان فيما بعد كان وسيعاً ، ملان فرحاً وسرور .

---

١) ينتاب على سكان لبنان الشمالي المزج في لفظ د وض ومنه الغلط في الاملاء .

فلما تأمل هؤلاء الاربعة ، قلع عنه ثياب العالم ، تفل في وجه الشيطان ، وتمرّغ على جسده في (بالمسح) وسلّم عينيه وقلبه في يد ذلك الطفل ، قائلاً مع الحكيم : ان اسم الرب هو لي برج حصين ، واليه يسير البار والقوي ، وكما تنظرون في لحظة عين هذا البطل السجيع انتصر من الجسد من العالم ومن الشيطان وخرج الى البرية لم يطلب شيئاً الا نعمة الله وارادته .

مَن هذه المستشرفة كمثل الصخر ، جميلة كالقمر ، منتخبة كالشمس ، مجزعة كالصفوف المعدة !

يقرأ في كتاب الخليقة ان ابن آدم قائين لمّا تأمل ان البراري لم تتسكن من الوحوش وهوال الدهر ، اتخذ للوقت ان يبني له مدينه لحمي نفسه واولاده من مصائب الزمان ، وكذلك يفطون جميع الناس ، واماً القديس مار مارون ، ولو انه كان يقدر يعمر له بيتاً ، ام يتاوى في مغارة ، أم يلتجي الى شقيف ، تشهد لنا سيرته انه ما راد يسكن الا تحت جو السما ، ليطفنا ان الذي كان كل اتكاله في الله ، ما يصلح له يغطي وجه السما عنه ، متشابهاً في الرب الذي قال : ان للثعالب جحوراً ولطير السما اوكاراً فامّا ابن الانسان ، فليس له موضع يسند راسه ، كذلك البار مارون ، كالذي كان حصن مانع ، ما احتاج الى حماية غيره ، وكانت الطهارة وكافة الفضائل هكذا راسيين في قلبه ، حتى ان لزمه الشعب والاخوة الذين ارتأوا اليه ، انه يصير كاهناً ، ومن هنا ارتاد في التعاب والكدّ في كرم الرب حتى كنت تقول حقاً : انه كبرج داوود المبني في المرامي المعلّق فيه الف ترس وكافة اسلحة المقتدرين .

كان هذا البلاد بعده ملان من الكفّار عباد الاصنام ومن الشمسيين عباد الشمس ، ومن تباع مرقيان[1] الهرطيقي ، الذي جعل الوسمه في الله ، وزعم انهم ثلاث رئاسات : واحد بارّ ، واحد صالح ، والآخر شرير ، وان العتيقة غريبة عن الجديدة وان الذي وهب الجديدة وما وهب العتيقة ، فأخذ البار مارون انه يتحارب مع هولاي ، لا بالسيف والقيص ، لكن في ترس الايمان وسيف الكلمة ، كما هو مكتوب عن يهوذا قائد اسرائيل ، ان لما نظر ان

١) مرقيانوس او مرقيون Marcion ولد في سينوب (بلاد بنطس) فيلسوف تنصر في مصر والشام وفارس تعاليم آل امرها الى مذهب مانى توفي حوالى سنة ١٥٠ م.

نيقانور[1] كان يطرد شعب الله، كان هو يسلح كل واحد واحد من شعب الله، ليس في السيف والرمح، بل نعم، في حسن الكلام والنصاحه، ولمّا اخذ الحبر، ان على راس جبل عالي باسم اوليمبيوس[2] كان هيكل للاصنام، وكانت الناس مواظبة في زيارته وخدمة الشيطان، اخذ طريقه الى الجبل فاقام جنده برجاً حصين ضد الهيكل، واتخذ انه يوعظهم ويحاربهم في كلمة الحق، حتى انه بطل الذبائح، هدم الاصنام، رد الضالين الى معرفة الحق، ومن ينكر ان ما صح فيه قول الحكيم: «انه كبرج داوود المبني على...» ؟

فلكن لئلا الشيطان يرجع مرةً اخرى الي ذلك، قدسه القديس بيتاً لله، والذي ما كان يعيش الا تحت جو السما، ليقهر الشيطان، جعل سكنته من ذلك الان في ذلك الهيكل قائلًا: من بيت داوود رفعتني على الصخرة، هديتني وصرت لي رجاء وبرجاً قوياً في وجه العدو، فاسكن في مسكنك الى الابد.

لكن ليقهر في الزائد العدو، انظروا حيل قديسين الله، جمع من الساوخ وجلود البهائم، وجعلها له خيمةً في وجه العدو، حتى انه كما برابيل الجلود طُرد آدم من الفردوس، هو برابيل الجلود يرجع الى السما، وكما يعقوب في الجلود، نال البركة من ابيه واخذ بكورية العيش، كذلك البار مارون في الجلود نال جزيل البركات من الله، وبهم دخل الى الكراسي التي فرغت من الشياطين في السما.

وفي برج هذه الجلود، يا اخوتي، من يستطيع يوصف صيامه ؟ دائمًا المطانيات المكررات، السهر طول الليالي، الوقوف على قدميه في الصلاة، ليلًا ونهار، حتى ان شهد تاودوريتوس[3] اسقف قورس، الذي كان من جيله وفي بلاده، ان شاعت اخبار القد في اذان كل احد، وامتد مجده في جميع الاقطار،

---

١) او نيكانور قائد جيوش انطوخوس ايبفانس. قتل في موقعة جودا المكابي سنة ١٦١ ق.م.

٢) هو أحد جبل الالهة في اساطير اليونان ومقام ملوكهم.

٣) وثيودوريتوس Théodoret ٣٩٣–٤٥٨؟ اسقف قورش. من كتبة الكنيسة السريانية قاوم النساطرة في المجمع الخلقيدوني. له سير وتاريخ الكنيسة.

حتى ان من كل بلاد ومكان كانت تأتيه الناس ، البعض ليتأملوا القداسة الراسية في روحه ، البعض ليتغايروا ويتمانوا في فضائله ، والبعض حتى ينالوا الشفا والصحة من امراضهم ، فيذكر تاودوريتوس الاسقف ، ان في رسم الصليب لا غير ، كان يبري من جميع الاوجاع والعاهات كل ذو جنس وشكل ، كانوا ياتوا العميان ويرجعوا ناظرين ، ياتوا المكرسحين ، ويرجعوا ماشيين ، ياتوا الذين في الرجفة ويرجعوا مصحين ، ياتوا الذين في الحمه والسخونه ، الذين في البرص والتجديف ، والذين كانوا متعذبين من الشيطان ، وكل هؤلاء واشباههم يردهم متعافين ممجدين الله .

لكن نقرأ في قصته ان ما عطاه الله قوة الشفا فقط ، بل انه كان يعرف في النائب ويذكر كل واحد في خطاياه الذين من اجلهم كان ينـاديه الله ، ولذلك لم كان يبري ذوي العـاهات اذ لم يندموا اولًا على خطاياهم ، اذ لم يرجعوا الى الله من كل قلبهم ، وفي هذا النوع كان يبري اولًا الروح ثم الجسد ومن ينكر انه ما كان برجًا قويًا كبرج داوود المبني ؟

فيسأل احد ، يا ابونا ، ما هي هـذه الالف ترس وكافة اسلحة الجبابرة المقتدرين الذين في برج داوود متعلقين ؟ فاجاوبهم : انهم الرهبان الطاهرين والقديسين المختارين ، الذين خرجوا من تعليم البار مارون . مذكور في كتاب الايام ان لما يوسافات[1] تقلد حكم يهوذا ارسل كهنة وقواد العساكر ليصونوا كل المدن ويعلموهم ناموس الرب ، كذلك البار مارون ، بعد ما اقام مدارس كثيرة للفضائل ، ونصب بساتين كثيرة في الحياة الملائكية ، امرهم يطوفوا في في كل هذه البلدان عن ادناس[2] القائد ، مذكور ، ان كان تحت يده ثلاث كرات رجل اشقياء ، وماذا يخطر لكم في البار يعقوب[3] ، تلميذ مار مارون ، فان هذا بعد ما تتلمذ من معلمه اخذ السكنى في البراري ولا زاد يتاوى تحت ستاره بل تحت جو السما كعادته ، ولا كان يأكل الا عدس مبلول فقط ، ولا كان يجلس فقط ، بل قائمًا دائمًا على قدميه ، تحت كيفيات الاهوية المختلفة ،

١) يوسافات . ٢ الايام ١١ ، ٤٣
٢) ادونيا ٢ الايام ١٧ ، ٨
٣) يعقوب ذكره ثيودوريتوس .

مثقلاً جسده بجديد ثقيل في الغاية ، وقام بنت فلاح بعد ما كانت ماتت ، ولما الاسقف تودوريتوس تدايق من تباع برقيان الهرطيقي حتى ان الشيطان كان [كذا] مجهر يضطهده ، نجا بصلوات هذا البار .

عن يوحنا[1] مذكور ، ان كان قائد كرتين وثمانية الف جندي ، وماذا يخطر لكم ان كانت فضائل تلاسيوس تلميذ مار مارون ، الذي يصير تذكاره في ٢٢ من هذا الشهر ، فهذا اقام له ديراً في قرية هيليا ، وهناك في بساطة الاخلاق وتدله المعقول مذكور عنه انه فز جميع اقرانه .

عن اماسياس[2] القائد مذكور ، ان كان حكم على كرتين ابطال ، لكن اشجع منه كان ليمناوو[3] الذي تغاير من البار مارون ، عمر له صيره في جالجاله ، وثبت فيا تحت الكشف ٣٨ سنة ، حتى ان الله صنع على يده عجائب كثيرة .

عن الياذا[4] القائد ، مذكور ، ان تحت يده كانت كرتين اقويا ، لكن اشجع منه كان زابينا القديس ، تلميذ مار مارون ، الذي اتخذ السكنه ايضاً فوق قمة تحت الجو ، على قدميه ثابتة دائم ، فلما كل من الشيخوخة والكبر ولم يمكنه التوقف كان يشد على ساقيه ، وتزايد على اهل عصره في اتعاب النسك حتى ان البار مارون طلب ان لا يدفنوه الا عليه .

ماذا يخطر لكم في بشليجزونيوس الذي تغاير من البار زابينا ومن معه اتخذ السكنى على راس قمه من القمم ، في هذه الكورة ، فليعذب جسده كان يحمل دائم على منكبيه اصل شجرة تقيلة ، ما يستطيع يحركها الانسان في يديه التنتين ، وكان دائم حاملها ، وهو واقف في الصلاة ، حتى ان صنع الله على يده عجائب كثيرة ؟ ماذا يخطر لكم عن فازاراتوس الانطاكي ، الذي هو ايضاً انتقل الى هذه الكورى ليتعلم من مارون وتلاميذه النسك ، فاعطاه الله الصبر ، ان ثبت مدة سنين منكس الراس في مكان علوه خمسة اشبار ، ثم خرج من

---

١) ١ ، مكابين ١٣ ، ٥٤

٢) ٢ ايام ١٧ ، ١٦

٣) عيده ٢٢ شباط .

٤) ٢ ايام ١٧ ، ١٧

هناك وعمل له سرابيل من جلود الذي كان يغطيه من راسه الى قدمه ، ولم ترك فيه الا تقبين لفمه وانفه ليستنشق الهوا ، وكان في هذا ليلا ونهار صيف وشتا. قائم في الفضا باسطاً يده لله .

ماذا يخطر لكم في انبا يوحنا الذي تغاير من المذكورين ، بعد ما سكن مدة في قرب جبل جرجاره ، انتقل الى مكان آخر حيث نبت تحت الجو مكشوفاً مقدار ٢٥ [سنة] ، لا كان ياكل سوى الخبز بملح ، ولا يلبس الا مسوح الشعر ، وبعد هولاء ، اثقال حديد كان يثقل على جسده من غير انه ياخذ تسلية ، ولان واحد من اصدقاه نصب بقرب من فراشه نصبة لوز ، وكبرت ؛ امر ان تقطع ليلا يستريح في ظلها .

ولكن كان يفرغ الليل والنهار ، ولم افرغ انا عن فضائل انبا مارون وتلاميذه ، خذوا تاودوريتوس وسنكسار الروم ، واقرأوا اقصاص القديس ابراهيم[1] واوسابيوس ، واسكليبس ، وطاليلاوس ، ومارس ، وسليمان ، ومحمان ، وغيرهم وغيرهم الذين تغايروا من مارون وتلاميذه ، وشرّفوا هذه

---

١) اليك ما قرأته عنه وعن اوسابيوس وطاليلاوس. اما باقي الاسماء فلم اتحقق هويتها:

ابراهيم – او ابراميوس ويلقب شينا هَمَمْا ومعناه السلام. روى عنه السنكسار الماروني في ١٥ ايلول انه كان من بلد انطاكية وكان رئيساً على النصوص ثم تاب وترهب وهدى الى الايمان عدداً وافراً من الوثنيين . (شيخو : المشرق ١٣ صفحة : ٤٥٤)

اوسابيوس حوشب يكرم هذا القديس في بقاع كفرا وبعض جهات الجبة ووادي قاديشا قال الاب يترس ان حوشب تصحيف « حديشابا » بمعنى عبد الاحد وهو كاسم دوميتيك عند اللاتين. وحديشابا «سبحدها» احد السياح الذين يكرمهم السريان في طور عبدين ولهذكر في كلندار ربان صليبا وعيده في ٨ آذار – ويرى السمعاني في كتابه « سلسلة البطاركة الانطاكيين » انه البطريرك السابع المسمى اوسابيوس ويدعى ايضاً حوشب وقد تسمّى كثيرون باسم اوسابيوس ومن المرجح ان المذكور في عظة الدوجي انما هو اسقف سباط الذي عيده في ٣٢ حزيران وصورته في كنائس الموارنة جيئة الاسقف. ومات شهيداً سنة ٣٧٩ (شيخو : المشرق ١٣ : صفحة ٣٠٥-٣٠٦)

طاليلاوس ولعله تلالاوس او ثلالاوس وقد عرف رجلان بهذا الاسم فالاول شهيد استشهد سنة ٣٨٦ في بلاد قيليقية وكان اصله من لبنان جاء ذكره في كلندار ربان صليبا في ١٠ ايار اما الثاني فذكره واقع في الكلندار الماروني في ٢٧ شباط عاش بالقرب من مدينة جبلة شيد له كوخاً وعاش فيه متنسكاً مدة ثلاثين سنة في القرن الخامس للمسيح .

(شيخو : المشرق ١٣ : صفحة ٣٥)

كورة حلب[1] وجيرتها ، في فضائلهم وديورتهم .

حتى ان يوحنا فم الذهب الانطاكي ، الذي في شعاع علومه وضيا قداسته انار الشرق والغرب ، ولو ان ما هو مذكور ان كان تلميذاً لمار مارون ، هو محقق ان لما انفوه من كرسي انطاكية ، رسل مكتوب الى انبا مارون طالباً منه الدعاء والمعونة .

فاذا يخطر لكم ان كانوا هؤلاء القديسين الا تراس معلقة في هذا البرج المكرم، مثل برج داود المبني في المجاعز المعلق في الف ترس وكافة اسنة المقتدرين !

وما هذه اسنة الجبابرة المقتدرين الا الديورات والصير التي اقامها مار مارون وتلاميذه ، في مدينة قورس ، في قرية برجاره (؟) في قرية هليمة (؟) في جبل اوليمبوس وفي قمم الجبال وهناك كانوا كالابرجة يحاربون الجسد والعالم والشيطان ويجدوا الى خدمة الله .

كان مرادي تقرأوا سيرة القديسة طومانينة تلميذة مار مارون ام البارة مارينا ام القديسة كوره الحلبيات[2] وتنظرون ما هو مؤرخ ان لست فقط الرجال بل ايضاً النسا كانوا تركوا العالم والبعض منهم يستجبسوا وحدهن واخرات يسكنوا في الديورة والاجبال ، والآخرات جعلوا بساتينهم ديوره ، حتى ان في بعض مواضع وصل عددهن الى مايتين وخمسماية ، ومن اين كل هذه العبادة الا بوساطة معلمهم الجليل مار مارون ؟ اذن حقاً ان في هذا البرج الحصين «الف سكرين تلين عاو كل شلطا جبرا» كان معلق فيه الف ترس ، وكافة اسنة المقتدرين ، وكان يقدر يقول مع عروسة المسيح : «انا حورا وثدى مجدلا» ، هذه العروس التي تبان امام الناس انها صغيرة ولا ثديين لها هذه هي البرج المبني في المعجزات ، وثدياها كالابراج انا هذا «وثدى مجدلا» فان رهبانه قاموا البيعة بالابراج المشيدة » .

١) الكلام دليل على ان الواعظ يذكر السامعين الحلبيين بقديسيهم فينال الاستحسان . وروى ناودوريتس في تاريخ الرهبانيات فصل ٣٠ قال اقتدت بحياة مارون الالهي العجيبة دومنينة التي نصبت في بستان ابويها كوخاً صغيراً وفيه كانت تقضي نهارها بالبكاء . . . ويعيد لها في ١ آذار . ثم القديستان كورا وماريانا اللتان يعيد لها في ٢٨ شباط . (راجع مروج الاخبار ص ١١٢ تعريب فروماج – المطبعة الكاثوليكية – بيروت) .

٢) الدليل بين على ان الواعظ كان يخاطب الحلبيين في حلب .

وهنا ينتهي النص الذي رويناه ولعل لاحظة بقية القاها الدويهي ارتجالاً ولم يكتبها شأن الكثيرين من الوعاظ الذين يستوحون من سياق الكلام ختام وعظهم مع مراعاة الظروف المناسبة للزمان ولحاجة السامعين .

على ايام البطريرك جبرائيل البلوزاني

١٦٦٣ - ١٧٠٤

[١٦٥٩] في هذه السنة توفي الخوري الياس بن حنا الاهدني خال البطريرك اسطفانوس الدويهي وكان قد خدم مدة الرعية المارونية في حلب . (غراف ٣٣٥٠٣)

[١٦٦٠] في هذه السنة الشماس استفازادور الارمني نسخ كتاب الطقوس عن طلب مركار عربكير وكتاباً آخر للطقوس عن طلب آكوب الارقلي وكان قد سبق ونسخ سنة ١٦٥١ كتاب الانجيل عن طلب الاب دير فرنسيس وكتاب الفرض عن طلب الاب آكوب في حلب . (سورميان ٣٢،٣٢)

وفيها داود الملكي المتولي جمع الخراج تعمم سبواً بعمامة خضراء يمتاز بها المسلمون . فاضطروه الى التشهد . فابى . فكبلوه . وزاره الاب برونو الكبوشي في السجن فاعترف داود وتزود بجسد الرب . وفي ٢٩ تموز ١٦٦٠ قطع رأسه في ساحة السرايا . فابتاع المسيحيون جثته بالذهب وسار في جنازته بطاركة الروم والسريان والارمن وخمسة مطارين وسائر الاكليروس واحتُفل عند دفنه بقداس الشهداء . (رباط ٤٥٧،١)

[١٦٦١] في هذه السنة كان تيودوروس وهبه الحلبي الملكي الكاثوليكي تلميذاً في رومة (كارالوفسكي ١٠٤) وفيها نسخ الشماس استفازادور كتاب السواعي للخواجا مصر شاه الحلبي . (سورميان ٣٣)

[١٦٦٥] الشماس استفازادور الارمني نسخ كتاب القداس عن طلب الاب سليمان الحلبي . (سورميان ٣٣)

مكاريوس الثالث الزعيم البطريرك الملكي اقر بالايمان الكاثوليكي وكان سابقاً مطران حلب .

[١٦٦٦] نسخ البطريرك اندراوس اخيجان السرياني كتاب الليتورجيات الثلاث عشرة وفيها ليتورجية المفريان ماروتا التكريتي واغناطيوس النوراني .

وفي هذه السنة انشأ اسطفان الدويهي المدرسة المارونية في حلب .
(غزي ٢ ، ٤٨١)

[١٦٦٨] في هذه السنة مرّ بحلب الخوري الياس الموصلي الكلداني قاصداً الى اميركة وله في دار الاسقفية السريانية وصف رحلته نشرها في المشرق ١٩٠٥ الاب انطون رباط اليسوعي .

وفيها نسخ البطريرك اغناطيوس اندراوس اخيجان جملة نوافير بالسرياني والكلداني . (الشرفة)

[١٦٧٠] نشأت جمعية راهبات في حلب تحت ادارة الآباء الكبوشيين . كان عددهن سبعاً اربعاً ارمنيات وكنّ يمارسن قوانين القديسة كلارا . وكان عدد وافر من البنات الصبايا يطلبن الدخول في هذه الجمعية وبعضهن كنّ مخطوبات .
(رباط ١ ، ٥١٠)

وحوالي هذه السنة الى ١٦٨١ يذكر دفتر وقائع الكرمليين في حلب اسماء الذين اعتنقوا الكثلكة . اكثرهم من اليعاقبة واخصهم حنة واصلان قاجيا (آجيا ؟) وامرأة قاجيا داود « السيدة القديسة » وشكرالله قاجيا وشماس ابراهيم قاجيا الخ . (رباط ٢ ، ٨٧)

كانت هناك شمالي كنيسة مار الياس دار ملك « بيت البابوش » فابتاعتها الطائفة واسقطت الحائط بينها وبين الكنيسة فوسعتها واتخذت من ثم الغرف لسكنى المطران والكهنة وللسكرستيا . وان آثار ذلك بيّن الى يومنا .

على ان هذه الكنيسة الحقيرة سوف تستبدلها الطائفة بالكاتدرائية الضخمة التي ستشيدها « ما وراء العمارة » ولكن لم تزل الغرف حولها تصلح للسكنى وهي الآن تأوي اولاد المدرسة .

ونسخنا من خزانة الآثار في دار المطران الماروني حجة شراء « بيت

البابوش » موقعة باسماء المتبرعين في شرائها مع ذكر المبلغ الذي تبرعوا به او الهدية التي قدموها للكنيسة واليك نص الحجة :

فلما كان تاريخ سنة الف وستماية وواحد وسبعين ربانى فاشترا حوش بيت بابوش[كذا] الذي خلف كنيسة القديس مار الياس وكان المتقي في ذلك اولادنا المباركين الشدياق نوح ولد يوسف من قرية بشري الذي كان متوكل على الكنيسة في تلك السنة والخج يعقوب ولد بركات من قرية بشري فتقدموا هولاء المذكورين واشتروا هذه الحوش المذكوره من مالهم لنفسهم وكتبوا الحجج باسمهم بمقدار الف وخماية قرش وراح خلفه وتسديد وترميم ثلاثماية قرش يكون جملة الدرام الف وثماثماية قرش اسدية فلما حضرت انا ازور جماعتنا واجم للبطركية بجاري العاده وكان ذلك على زمان سيدنا وتاج رومنا البطريرك مار اسطفانوس الانطاكي فاجمت هذه الدرام ولميناها من الطايفة من رجال ونسا واولاد وبنات وكل احد اتشوتف على قدر قوته وما طابت نفسه واجمنا الدرام جميها واوردناها الى الاسامي المذكورين اعلاه واخذوا دراهم بالكمال والتمام وصار الحوش وقف مؤبدًا الى كنيسة القديس مار الياس لاجل هذا الشي القرمنا وكتبنا كل من اتشوتف في حق هذه الحوش وحطينا اسامهم في هذا الكتاب . تامر اولادنا القايمين في عصرنا هذا وايضاً الذين يأتون بعدهم والى اخرتنا المطارين الذي يجوا بعد منا الى هذا الجانب وحطينا هذا القانون والامر ان في ثاني يوم عيد جميع القديسين الذي هو يومين من تشرين الاخر انهم في ذلك اليوم تصير الصلوات والحسايات والقداديس على ارواحهم ويصير لهم هذا تذكار للابد وبعض الخرج ووقا القداديس في ذلك النهار من مال الكنيسة من يد الوكيل الذي يكون متوكل في ذلك العصر . كل من غيّر هذا القانون او قصد ان خالف يبقى يعطي جواب قدام الله تعالى في يوم الدين المرهوب لانه صار هذا في زمنا وحضور جميع طايفتنا وفي تلك السنة ونحن حاضرين صار تليبس الكنيسة وانفتح الشباك القديمي الغربي الذي مرمي على الحوش المذكور اعلاه وكرسنا الكنيسة ثاني مرة وكل من نظر في هولاى الاحرف يترحم على الاسامي المذكورين الذي تعبوا بمالهم وانفسهم نطلب من الله تعالى ومن سيدتنا العذرى الطاهرة ومن القديس صاحب الموضع ومن جميع القديسين انهم يعينوا ويشفعوا في كل من اتشوتف واعتنا ووقف قدام الحاكم في هذه المعونه يعوضهم الله عوض الواحد ثلاثون وستون ماية وفي الاخره ملكوت السماوات وعواقبهم دينا يكونوا في نعمة الله تعالى امين .

ويتلو الحجة توقيع « المتشوتفين» وعددهم من الذكور ٢٣٤ ومن الاناث ٢٢٥ . كل اسم تحته رقم دليل على ما تبرع به من القرش (الذهب ؟) وفي فاتحة الاسماء المطران جبرائيل (١٠) ثم الخوارنة يوسف (٥) حنا (١٠) جبرائيل (٨) القس شحاده (٥) .

ومن بعدهم الشدياق نوح (٥) والشماسة الخ. وذكرت اسماء النساء. وما تبرعن

به من غرش او من قطعة ذات قيمة من امثال ذلك حرمة ابراهيم (خلخال) حرمة انطون (فضية) حرمة الياس (دكة فضة) حرمة حنا (حلقة ذهب) حرمة حنا (اطلس بزرار فضة) حرمة (؟) (بقجة) بنت شد او شدياق فرحات (درهم كب حرير ؟) حرمة الياس (بدلتين زرار) حرمة حنا بركات (خاتم ذهب) حرمة عطاالله (خلخال) حرمة شد جباره (كفه قنديل عتيق) حرمة جبرا (خلخال) حرمة يعقوب (خاتم ذهب) حرمة شدياق عبدالله (حلق ذهب) بنت جبرا (زنار مختم) بنت البلوقيتي (زنار مختم) حرمة الافرنج (زرار) حرمة يوسف (خاتم ذهب) حرمة شماس جرجس (حلق ذهب) حرمة نعمة (شاهيتين) ام حنا (وقية قز) حرمة فتح الله (شاهيتين) هيلانة (خاتم ذهب) بنت حنا (بدلة زرار) حرمة بطرس (بدلة ونصف زرار) على روح ياسمين (لباس) الخ ... محرمة . زرار .

وفي هذه السنة نسخ اغناطيوس اخيجان كتاب جناز الموتى في مدينة حلب (شرفة) ونسخ الشماس استفازادور قوانين الرسل. (سوريان ٣٢)

[١٦٧٢] ولد في حلب عبدالله قرألي احد مؤسسي الرهبانية اللبنانية واسقف بيروت الماروني . (المنجد)

[١٦٧٣] في هذه السنة كتب الشماس استفازادور الارمني كتاب الطقوس للاب اوهانس . (سوريان ٣٣)

[١٦٧٤] ارسل الارخيدياقون ميشيل بجاه الملكي خضوعه الى رومة وكان من المجاهدين في سبيل الايمان الكاثوليكي. (كارالوفسكي ١٠٤)

وفيها قدم الى حلب المركيز دي نوانتل[1] سفير ملك فرنسة لويس الرابع عشر ليشد عرى الوثاقات التجارية بين فرنسة والسلطنة العثمانية . خرج لملاقاته جماعة الجالية الافرنجية من انكليز وهولانديين وافرنسيين ودخل البلد محفوفاً بمظاهر العظمة بين الخدم والحشم والضرب بالصنوج والنفخ بالبوق .

واستقبله بطريرك السريان في الكنيسة فسمع القداس واعجب بما رآه من

(1) Vandal. *Les voyages du Marquis de Nointel*, p. 155.

تقوى الحاضرين وخشوعهم عند الكلام الجوهري الدال على ايمانهم باستحالة الخبز والخمر الى جسد ودم المسيح .

كان بين الانكليز رجال من اشرافهم ابناء اللوردات وكانوا يعيشون بالترف ويلبسون الثياب الجميلة ويركبون الجياد المطهمة . ويذكر الحلبيون الى يومنا ما كانوا يروونه في اواخر القرن الماضي في ضاحية جبل النهر والزيرة من «اشجار صنوبر حلب» هناك كان يعيش القنصل البريطاني واسرته في «بستان الانكليز» وقد تحول اليوم الى دور للسكنى .

واغتبط ملك فرنسة لما بلغه عن رحلة دي نوانتيل الى حلب وعن سعيه في سبيل تجديد الامتيازات الاجنبية لحماية الدين الكاثوليكي ولمساعدة التجارة . واخذ بعين الاعتبار ما قاله دي نوانتيل عن ايمان الحلبيين باستحالة الخبز والخمر الى جسد ودم المسيح فكان لذلك الخبر وقعه الخطير ايام كانت حركة الاصلاح البروتستنطي في فرنسة تدعو الى نبذ العقيدة في الاستحالة .

[١٦٧٥] في هذه السنة سافرت قافلة الى ديار بكر تحمل اليها الصابون وكان عدد دواب القافلة ١٠٠ أو ١٢٠ . (سؤاجه ١٦٥)

[١٦٧٨] في هذه السنة توفي اندراوس اخيجان البطريرك السرياني . (غراف ٤ : ٤١١)

وهو الذي وقف كتاب الحسابات للكنيسة . (شرفة ١٢٤)

وفيها نسخ الراهب رزق الله قسيس السرياني كتاب البتكار او التراتيل . (شرفة ١٠٠)

وفيها استقدم الاب ميشيل نواليسوعي للطائفة المارونية ذخائر القديسين من رومه ومعها اوراق حجتها وفيها جلس البطريرك بطرس السرياني وسيم اسقفاً على السريان في حلب المطران رزق‌الله . (رباط ٢ : ٧٠)

حرّر المرسلون كتاباً الى سفير فرنسة في الاستانة وطلبوا الرخصة لتوسع كنيسة مار الياس الموارنة .

[١٦٧٩] اخذ الآباء الفرنسيسكان بتدوين وقائع ديرهم في كتاب

سوف يختمونه ١٨٨٤ وهو في دير حلب. وفيها ولد في عينتاب ابراهيم اردزيفيان اول بطريرك للارمن الكاثوليك . (غراف ٣،٦٠٤)

[١٦٨٠] التجارة بين البصرة وحلب بواسطة الانكليز والافرنسيين تؤدي المعاش لاكثر من ثلث سكان حلب . (سوفاجه ٢٠٤)

وفي هذه السنة ولد في حلب الشماس عبدالله زاخر وهو من انسباء الخوري نقلاوس الصائغ . (غراف ٣،١١٠٣)

حوالي هذه السنة القيت في كنيسة الروم في حلب مواعظ حفظت في مكتبة مخطوطات الاب بولس سباط عددها ٣٦ ومواضيعها الحقائق العظمى والاسرار والوصايا . (غراف ٣،١٧٠٤ ، سباط ٦٦٥)

[١٦٨١] حدث الاضراب العام في البلد بسبب زيادة الضرائب . الف الشماس استفازادور الازمني كتاب الصلوات . (سورميان ٣٣)

[١٦٨٣] لوران دارفيو قنصل فرنسة في حلب وسفيرها لدى الباب العالي وصف حلب بفصل مطول فذكر فيه ما لم يذكره غيره عنها فاطنب في مدح بساتينها على ضفتي نهر القويق واثمارها المتنوعة وفاكهتها وخاصة البطيخ الاحمر « الجَبَس » الذي يسد الحاجة وقت الحر الشديد لحمه احمر يانع لذيذ يذاب في الفم بشراب يروي العطشان ولا يضر البتة . وكذلك الخيار فطعمه كالتفاح ياكله الناس بقشرته والمقتي وانواعه من قرع وكوسا يصلح « للشوربة » ويُحشى باللحم المفروم وكل هذا وافر في الاسواق متداني الاسعار . وقال عن اهل حلب انهم الاكثر وداعة والاقل اذى والاسهل معاملة ما بين سكان السلطنة العثمانية .

النساء يلبسن السراويل الطوال كالرجال وفوقها القميص من القماش الموصلي ويحتذين بارجلهن بجزمات من الجلد الاصفر ويلتحفن بملحفة من اللحاف الابيض من الرأس للقدم. ويحجبن وجوههن بالبرقع الاسود الشفاف فيرين ولا يُرى وجههن.

---

(١) *Mémoires du Chevalier d'Arvieux*. Tome sixième. Paris 1735, p. 411 sqq.

وهواء البلد نقي لكنه صحراوي يكشف على امراض الذين يأتون البلد وفيهم الاستعداد للعاهات فعليهم ان يتوقوا من الاسراف بالاكل والشرب لئلا تتفاقم علتهم ويموتوا بها .

والباشا حاكم البلدة يمتاز بسنجق بثلاثة اذنبة يحمل امامه . وهو عبارة عن رمح في رأسه كلة من النحاس المذهب يعلق عندها ثلاثة اذناب من اذنبة الخيل البيض . وتحت الباشا المتسلم وليس له راتب معاش معين لكنه يتقاضاه من الناس على هواه . وتحت المتسلم القاضي . وبعده المفتي ثم نقيب الاشراف ويتميزون بعمائهم الخضر ثم آغا الانكشارية ثم آغا الصباحية ثم الدفتر دار ثم وكيل المكوس او الكمرك .

وهناك الشابندر وهو زعيم التجار والقاضي بينهم ثم الصوباشي او زعيم الشحنة .

وهناك امام الحي ينتخبه اعيان منطقته فيلتزم بجمع المال للسلطان ويعين بما على كل بيت من بيوت الحي ان يدفعه من المال وتحت يده شيخان الواحد يلم المال والثاني معهود اليه بالحراسة في الليل . وهؤلاء الثلاثة لا يتقاضون معاشاً لكنهم يعفون من دفع ضريبة السكنى .

السكان على الاجمال فيما عدى الاشراف يشتغلون اما بالتجارة واما بالمهن وهي اثنان وسبعون صنفاً وعلى كل صنف منها شيخ فاذا وقعت ضريبة ما على صنف من الاصناف توجب على شيخ ذلك الصنف ان يتقاضاها من عماله وله منها مكاسبه يساعده على تحصيلها الصوباشي والقاضي .

على المدينة ان تقدم للسرايا القسم الاكبر مما تحتاج اليه من لحم وخبز وسمن وحطب وفحم وشعير وطحين وتبن وغير ذلك ويتقاضى الباشا الباقي من الضيع .

[١٦٨٤] نسخ بشارة بن سفرشاه السرياني في حلب كتاب البيتكاز ١٦ حزيران . (شرفة ٩٨)

كتب فولنه ٤٩٧٢ ان اكثرية السكان في ضواحي حلب هجروها الى المدن . وكان عدد القرى في الباشاوية ٣٢٠٠ فانحط الى ٤٠٠ وعلى ١٢٠٠ قرية ٣٠٠ خربت وهجرت . (دارفيو – سرفاجه ١٩٤)

ولد جبرائيل حوشب وسوف يخلف جرمانوس فرحات على كرسي حلب الاسقفي في ١٧٣٣ ويقيم في دير طاميش لبنان . (غراف ٣ : ٤٦٢)

وارتفعت الاسعار في الاسواق ارتفاعاً فاحشاً فحدثت الفتنة وقتل المتسلم ابراهيم باشا ونقيب الاشراف محمد الحجازي . (غزي ٣ : ٢٩١)

[١٦٨٥] ولي حلب عبدالله باشا . احترق سوق بانقوسا . (غزي ٣ : ٢٩١)

الاب فرنسيس دي . نتان الكبوشي اقام في حلب واعظاً ومعلماً . الف كتاب « اتقان الطريق الهادي » و "الكوت السماوي » رداً على القرآن . (غراف ٤ : ٢٠٠)

ارسل البطريرك اسطفانوس الدويهي الى حلب الخوري بطرس التولوي واعظاً وخادماً للنفوس وسوف يموت سنة ١٧٤٥ وعمره ٩٠ سنة . (غراف ٣ : ٣٩٤)

[١٦٨٦] صدر الامر من الباب العالي باطلاق الحرية للاباء الفرنسيسكان في استعمال المخزن في خان الافرنج كنيسة يقيمون فيها العبادات . (رباط ٣ : ٤٧)

وفي هذه السنة كتب الكاهن مرقص للخوري زنده كتاب البرهان للقديس اثناسيوس الاسكندري . (رباط ٤٩)

وكانوا في هذه السنة يكثرون من صناعة الاقمشة القطنية وكانوا يصبغون القماش العجمي والكلزلي والحموي ويصدرونه الى كتالونية والى سواحل اسبانية وعهدها قريب في الحكم العربي . (سوقناجه ٢٠٣)

قضية توسيع كنيسة مار الياس الموارنة

سنة ١٦٨٦ في ١٧ شباط كتب الاب بوازو (Boisot) اليسوعي (رباط ٢ : ص ٩٤) الى سفير فرنسة في استنبول ان الموارنة هم اكثر مسيحيي الشرق احتراماً لنا وتعلقاً بالكنيسة الرومانية . وكلهم كاثوليك ويقبلون التعليم الديني بنشاط ليخرجوا من الجهل الذي طرحهم فيه طغيان الاتراك . ولهم في حلب اسقف غيور على خير الشعب وهو يلتمس توسطكم لدى الباب العالي ليستطيع ان يوسع كنيسته وذلك بازالة الحائط الفارق بينها وبين الدار التي تخص الموارنة فتدخلها النساء للصلاة دون ان يلتجئن الى المرور كما في اليوم بالباحة

الخارجية بين رجال سائر الطوائف وسوف يحدثكم الاب (Deschampes) ديشان عن هذه القضية .

والتقى الاب ديشان في استنبول بالسفير الافرنسي واعرب عن رغبته الحارة في ان يحمل الى موارنة حلب الاجازة الشاهانية ليستطيعوا ان يوسعوا كنيستهم لانها تضيق بعدد هذا الشعب الذي يأتي من لبنان للاقامة في حلب .

فاجابه السفير انه من المستحيل تحقيق هذا الطلب لان الشريعة التركية تقضي ليس بعدم عمار كنائس جديدة فقط ولكن بتوسيع القديمة ايضاً .

– ولكن باي حجة شرعية يُمنع توسيع الكنائس ؟

بين المخطوطات التي وجدناها في حلب اوراق في كراسة ملوثة بالرطوبة عسرة القراءة في اسفل مقدمتها جاء عنوانها :

« تحفة الاريب فيما يمنع منه اهل الصليب » الفها محمد بن يوسف الحلبي المفتي في جزيرة ساقز عن طلب محمد باشا وقد يكون محمد كوبرولو او غيره ممن تولوا الحكم في جزر الارخبيل في القرن السابع عشر وهذه المخطوطة عليها تاريخ ١١٣٥ هـ المناسب لسنة ١٧٢٢ وهو تاريخ النسخة وبخط غير خطها فيكون الاصل قد وضع في القرن ١٧ . وبها يكن من هوية مؤلفها ولم نرَ له ذكر في انباء النبلاء لراغب الطباخ فهي اثر خطير جمع فيه صاحبه اقوال علماء الشرع الاسلامي في الموضوع . اطلبها في ذيل المقال –

وان تلك الفتوى وامثالها كانت تصدر منذ الفتح الاسلامي وقد يتقيد بها الحكام او يتساهلون بحسب الظروف .

ولم ينفك موارنة حلب يسعون لدى اولياء الامر في سبيل توسيع كنيستهم .

فاعاد الاب ديشان طلبه الى السفير الافرنسي في استنبول وكتب المذكرة التالية :

« ان عدد الموارنة كان منذ خمسين سنة زهيداً جداً في حلب وكانوا يكتفون لعبادتهم بغرفة واقعة في جوار كنيسة الارمن لا تسع اكثر من اربعين او خمسين شخصاً ولكن زاد عدد ابناء هذه الطائفة كثيراً بقدوم من جاؤوا من جبل لبنان مع عيالهم ليقيموا في حلب حيث يشتغلون بنشاط في سائر المهن وبالحرير وقد يبلغ عددهم الى الاربعة آلاف . . . فلا بدَّ لهم من توسيع كنيستهم » .

وفي سنة ١٦٧٧ طلب الحبر الاعظم بالحاح الى ملك فرنسة بالتدخل لدى

الباب العالي لمساعدة الموارنة فقدم السفير الافرنسي الطلب للصدر الاعظم وكان جوابه :« اولماز اي ـ كلا » .

واضاف صاحب التحرير هذه العبارة :

« ان المارنة كان سببها تراجمة الباب العالي وهم من الاروام المنفصلين عن الكثلكة فكانوا يعرقلون مساعي الكاثوليك في البلاد العثمانية ليتحرروا من سطوة بطريرك الفنار اليوناني عليهم . ولكن بالرغم من هذه العراقيل ما ان قضت ايام الا ويكتب الاب بوازو اليسوعي في ١٠ آذار » .

« كنت اظن انه من المحال الحصول على الرخصة في توسيع كنيسة الموارنة في حلب ولكن صرت آمل بالنجاح وساعمل في سبيله » .

وفي الامر الواقع لقد نال الآباء الفرنسيسكان الرخصة في اعادة كنيستهم في خان الشيباني في السنة ذاتها ١٦٨٦ فاستفاد الموارنة من هذه الظروف ووسعوا كنيستهم . (رباط ٢، ٩٧)

[١٦٨٧] ١٠ نيسان ارسل اثناسيوس من حلب كتاباً الى السفير الافرنسي في استنبول اعلن فيه انه تثقف منذ نعومة اظفاره بالايمان الكاثوليكي على الاباء اليسوعيين . (رباط ٢، ١٠٦)

[١٦٨٨] اخذ الشماس استاذدور الارمني بكتابة كتاب الطقوس ولم يكمله لانه تقدم بالسن . (سوريان ٣٤)

[١٦٨٩] فيها ولد بحلب يعقوب يوسفيان الذي سيقام اسقفاً فيها على الارمن ١٧٥٠ ويرسل كهنة للتبشير في بلاد الارمن. (غراف ٤، ٨٨)

[١٦٩٠] وقع الطاعون في حلب وبلغت الاصابات يومياً السبعمائة . (غزي ٢٩٢)

مكرديج الكسيح الارمني الحلبي الف بالعربية كتاب « ظل الكمال في تثقيف الاعمال » . (غراف ٤، ٨٤)

الخوري يوحنا بن زندا الحلبي الف كتاب « الناموس الشريف والمصحف العالي المنيف في الحق القانوني » . (غراف ٣، ٣٨١)

[١٦٩٢] الاب اغناطيوس كليسون اليسوعي مات في حلب بالطاعون . ألف كتاب « الميامر في الوعظ » . (غراف ٤، ٢١٧)

[١٦٩٣] في هذه السنة كان في حلب جبرائيل فرحات الشاعر وهو في ٢٣ من عمره ووقع فيها الطاعون فوصفه بقصيدته الهمزية العصماء ومن شعره فيها :

لا حبذا ضيف الم بدارضي ... بئست له الآجال لما جاءا
هبت بفلك جسومنا ريح الفنا ... سحرًا وكان هبوبها نكباءا
وطمت بحارُ الحين من عمقاتها ... فمرت وكان مقرَّها الأحياءا
يا رب أشدد فيك ازري واكفني ... ضدًّا أثار على ضناوي الداءا

(من ديوانه ص ٢٢)

[١٦٩٥] وفي هذه السنة انقسمت الطائفة المارونية الى الاهدنيين والبشراتيين حول شخصية المطران وبعضهم كان من حزب جبرائيل البلوزاني وبعضهم من حزب المطران جرجس الذي جاء من لبنان وادعى بالمطرانية لنفسه ولكنه ما عتم ان عاد الى لبنان والخصم الخصام . (رباط ٢، ٢٢)

[١٦٩٦] سنة غلاء الطاقة . كان الناس في ايام المجاعة يتزاحمون على الخبز عند الافران فلا تفتح ابوابها بل كانت توزع الخبز من الطاقة . على ايام عثمان باشا الوالي . (غزي ٣، ٢٩٣)

وحيّ فرن الشباك في بيروت ينوه بالحدث ذاته اذ كان المسافرون عند خروجهم من بيروت الى الجبل يتزودون الخبز عند الفرن من الشباك . وفي هذه السنة يعقوب اروتين الارمني الاصل دخل دير مار مورا الموارنة ونذر نذوره الاحتفالية مع عبدالله قرألي . (غراف ٣، ٤٣٥)

[١٦٩٧] خطايا الملكيين في حلب :

نشر الشماس جرجس بن سفرشاه في حلب عن احد الكهنة صفحات ذكر فيها خطايا الحلبيين « الحرامات » منها السكر وشرب العرق . واكل الافيون والكلس والتشبه بجيرانهم الغير المسيحيين فيما انفردوا به من الخصائص والعادات والاهواء ككتابة الحروز والطلسمات وتلاوة الادعية لاستخراج الجن والضرب

بالطنبور والفيق واكل لحم الخنزير المقتول خنيق ولبس الازرق والاسود على الميت وقص اللحية وشرب الدخان وغير ذلك مما كتب فيه احدهم استهزاء :

« الذي يفطر وينذا ويتسا حرام . الذي يشرب ماء اذا عطش حرام . واذا نعس الانسان ونام حرام . اذا نام بلا بابوجه حرام . واذا سأله جواب ورده حرام ».
(زيات : المشرق ٣٦ : ٣٢—٤٠)

[١٦٩٨] ابطل قاضي حلب محمد بن الغني عادة مشايخ قرى جبل سمعان بان يقدموا للقاضي هدية من الدجاج . (غزي ٣ ، ٢٩٣)

اثناسيوس ٤ دباس اقتنم البطريركية مع كيرلس ٥ الساقزي في دمشق والدباس في حلب. وكان في غضونها الاسقف غريغوريوس مطراناً على حلب . خاضعاً للكرسي الرسولي . (كارالوفسكي ١٠٤)

اخذ الانكليكان يوزعون كتبهم الدينية على الناس. (رباط ١٩٠١ه)

[١٧٠٠] بطرس يوحنا مصر شاه السرياني الحلبي دخل مدرسة البروباغندا في رومة . نقل الى العربية شرح رؤيا يوحنا لمتوخيوس المتوفى ١٦٥٥ .
(غراف ٤ ، ٥٨)

[١٧٠١] الاب يوسف دي روني (de Rouilly) رئيس رسالة الكبوشيين في حلب ترأس ايضاً فيها مأوى الغرباء . (غراف ٤ ، ٢٠٢)

هو الذي سيسعف البطريرك اثناسيوس دباس في موته ٥ آب الساعة ٢ من صباح ١٧٢٤ . وينال منه امام الشهود الحاضرين نبذه التعاليم المخالفة للايمان الكاثوليكي . (لرفينك اثناسيوس ٣ في القاموس التاريخي الجغرافي ٤ ، ١٣٠)

[١٧٠٢] مات صبراً في سجن آدنه البطريرك بطرس اخيجان السرياني والمطران رزق‌الله امين خان . (غراف ٣ ، ٥٧).

وفيها قدم الى حلب القس جبرائيل فرحات الراهب اللبناني . وفيها كتب البنكسار الكرشوني في كنيسة موارنة حلب . وفيها مات يوسف معرب « الشرح المختصر في السبع الرذائل » .

[١٧٠٤] رُفع الى الكرسي البطريركي الاسقف جبرائيل البلوزاني سابقاً

مطران حلب . فسام ابن اخيه ميخائيل البلوزاني اسقفاً على تلك المدينة وسام الاسقف ميخائيل الشماس عبد المسيح لبيان الحلبي كاهناً وعهد اليه بالخدمة الدينية في لبنان ثم في حلب . وكان للخوري عبدالمسيح الباع الطولى في التأليف الكتب الدينية ونسخها وكان قد تعلم على بطرس التولوي .

(كارالوشكي ١٠٩ ، غراف ٣٩٠،٣)

على ايام المطران ميخائيل البلوزاني

١٧٠٤ – ١٧٢٤

[١٧٠٥] سافر من حلب الخوري ميخائيل الدويهي ليدفن اخاه الخوري يوسف الدويهي المتوفى في عندقت عكار . (شرفة ٣٢)

[١٧٠٦] حوالي هذه السنة نسخ في حلب برغوريوس عبدالازلي مطران دمشق السرياني كتاب الرسامات الكهنوتية . (شرفة ١٣٩)

وفيها كوركيز ولد عبد الكريم اوقف مسقفات لكنيسة السريان بحلب وكذلك الياس ولد حنا وفرج ولد عبدالله . (غزي ٢ ، ٦٠٦)

وفيها طبع الانجيل في المطبعة الارثوذكسية في حلب بسعي البطريرك اثناسيوس٣ دباس وكان باكورة المطبوعات العربية في الشهباء . (غزي٢ ،٤٧٢)

[١٧٠٧] اثناسيوس دباس طبع للمرة الاولى في حلب تعريب تعليم الرسل Praxapostolos وعظات يوحنا فم الذهب . (غراف ١ ، ١٧٢)

[١٧٠٨] صور صورة الدينونة العظيمة الموجودة في كنيسة الارمن بحلب قس نعمة ابن الخوري يوسف المصور وابنه حنانيا .

واليك نص الاسطر المحررة في اسفل الصورة :

« وكان المجتهد بعمل هذه الدينونة المكرمة المقدسي كركور شماع ابن المقدسي كرايد بالتمام الكهنة المسيحيين الى كنيسة الاربعين شاهد الطلمي في مدينة حلب المحروسة . فنسأل كل من نظرها يترحم على والديه ويطلب له المغفره من الله تعالى وذلك بتاريخ ١٧٠٨

صورها يده الفانية الحقير القسيس نعمةالله بن خوري يوسف المصوّر وابنه حنانيا فنسأل كلمن نظرها يدعي لها بالغفران وذلك بتاريخ سنة ٧٢١٦ لآدم عليه السلام» .

(والمصور كان ينطق بالضاد ومن المرجح انه كان من الجالية الارمنية الحلبية التي تكونت منها الطائفة الارمنية الكاثوليكية) .

[١٧١٠] الراهبان جراسيموس وسليمان من حلب دخلا دير مار يوحنا الصابغ في قرية الشوير .

[١٧١١ / ١١٣٤] اجر البطريرك اثناسيوس دباس نعمة بن الخوري توما جميع الدار الكائنة وقفاً في محلة الصليبة المشتملة على ايوان صغير بجانبه قبة وعلى بيت يعلوه مربع يصعد اليه بدرج من الحجر وعلى مطبخ يعلوه طبقةصغيرة عقداً كاملاً ثلاث سنوات متواليات باجره قدرها عن المدة ماية وخمسة واربعون غرشاً عباره عن كل سنة من العقد ثمانية واربعون غرشاً وثلث الغرش وقد هدرت له من المبلغ المرقوم خمسة واربعون غرشاً بمقابلة ما يلحق الدار المذكوره في المدة المرقومة من العوارض السلطانية والتكاليف المرضية والحكر العايد لجهة وقف مدرسة الحلوية والماية غرش التي هي تمام الاجار المرقوم . . .
(مقتطفات صفحة ٩٤)

[١٧١٢] قدم الى حلب الخوري جبرائيل فرحات الماروني الواعظ والشاعر . (غراف ٣ ، ٤٠٧)

— الكاثوليكوس بطرس بطريرك سيس سام ابراهيم اردريفان اسقفاً مديراً لابرشية حلب على الارمن . (غراف ٤ ، ٨٦)

وفي هذه السنة ارسل اقليمنوس صيفي رسالة تشجيعاً للملكيين الكاثوليك وكان عددهم ١٥٠٠٠ بين دمشق وحلب . وكان من السعاة النشيطين في تكوين الطائفة الملكية الكاثوليكية المستقلة عن البطريرك اليوناني . .
(غراف ٣ ، ١٨٣)

[١٧١٣] المدعو اطناسيوس اوقف مسقفات لفقراء النصارى .
(راجع فيما بعد ١٧١٩ ه اذار رغزي ٢ ، ٦٠٧)

ودخل في وقف كنيسة السريان في حلب كتاب فصول من العهد القديم بالخط الكرشوني كانت تستعمل في ايام صوم نينوى والصوم الكبير وفي الاحاد والاعياد . (شرفه ٦)

[١٧١٤] ١٢ ايلول مات الاب برنارد غوده (Gaudet) اليسوعي فقام بجنازته في المقبرة الاب خوري اللاتين .

وفيها السيد بولس لوقا قام برحلة ثالثة الى البلاد السورية بامر ملك فرنسة لويس الرابع عشر وزار حلب وكتب عنها طرفاً منها وصف الحفلة التي جرت عند زيارة قنصل فرنسة الاولى الى الباشا . امر الباشا القنصل بالا يأتي معه بفوتويل (كرسي) كما كانت عادته (ولعل السبب ان الباشا كان يتربع جالساً على الدوشك وسرواله الواسع يريحه في الجلسة . اما القنصل وبنطلونه ضيق فكان يضطر الى ان يأتي بكرسيه معه للجلوس؟؟ ما لم تقدم له منضدة كما سترى).

فجاء القنصل بالابهة كما يلي : تألف موكب سار امامه بلوك باشي ومن بعده قواس فرنسة وبيده عكازة طولها خمسة اقدام وعلى رأسها صورة الزنبقة من فضة ومن بعده اربعة انكشارية بلباسهم الرسمي وطربوشهم له شرابة تترامى اطرافها على الكتفين ومزين فوق الجبهة بنوع من بكرة من الفضة المذهبة ومن بعدهم الشطار الاربعة ببدلاتهم وكسوتها واحد . ومن بعدهم التراجمة الاربعة ومن بعدهم القنصل وكان زيه زي الاتراك وعلى اكتافه وشاح يرفع ذيله من الوراء احد الخدام . وكان على يمين القنصل ويساره مندوبا الدولة الافرنسية وكان يمشي وراءه الافرنسيون وسائر من كانوا يتمتعون بحماية فرنسة . ولما بلغ الباشا خبر قدوم القنصل ارسل احد عظام قواده فرحب بالضيف وادخله واجلسه على منضة وقدموا له صحن حلوى فاكل منه ما تحويه ملعقة ثم قدموا له القهوة والشراب وصبوا ماء الورد على يديه وعلى ثيابه وكذلك الطيب وانتهت الزيارة وقام القنصل وخرج ولم يتحرك الباشا من موضعه لكنه اهدى الى القنصل منديلاً مطرزاً وامر خمسة جاويشية بتشييعه فزاد بهم رجال الموكب في عودته الى دار القنصلية .

واحتفل في كنيسة الاباء الفرنسيسكان وفي سائر الكنائس بالجناز من اجل راحة نفس لويس الرابع عشر الذي نعى اليهم في تلك السنة . وابنه الاب هرنودي اليسوعي بخطاب بليغ .

ومن اخبار الباشا ان امرأة رفعت اليه دعواها على احد الاشراف .

فاستدعاه الباشا للمحاكمة فـابى الحضور فاستحضره الباشا بالقوة وامر بالغلق فضربه عليه بالعصا مئتي ضربة . (لوقا ص ٢٨٢)

[١٧١٦] عيسى جرجس عازاريه نسخ كتاب « منهاج الكهنوت لخدام اللاهوت » تعريب البطريرك اثناسيوس دباس . (سباط)

— ولد في حلب يواكيم بليط الارمني. تعلم في رومة. ترأس جمعية الكريم. له مؤلفات نسكية . (غراف ٣ ، ٤٣٢)

— جبرائيل فرحات خلف عبدالله قرألي في رئاسة الرهبانية المارونية . (غراف ٣ ، ٤٠٧)

— الحركة التجارية واسعة النطاق . حلب تستهلك الجوخ بكثرة وترسل منه الى اورفا وديار بكر والموصل وادنا وارضروم وبغـداد ودمشق . وايضاً الى العجم والهند والى مكة . وتصدر الغنص وصوف الغنم ومنه يصنعون في اوروبة الاقمشة التي لا تبتلّ بالمطر والاقمشة القطنية .

ويصبغون في حلب القماش الهندي ويصدرون الصابون الى مـا بين النهرين والعجم والى البادية . (سوقاجه ٢٠٣)

[١٧١٧] ولد في حلب بولس حكيم مطران الموارنـة صاحب المواعظ والقصائد والزجليات . (غراف ٣، ٥٠٠)

وفي هذه السنة ظهر مطبوعاً باللغة الافرنسية في باريس كتاب رحلة السيد دي لاروك ، بامر الملك لويس الرابع عشر الى امير العرب في صحراء بادية الشام وصف رحلته مستميناً بمؤلفات شيفاليه دارفيو. ومما رواه قصة تقشعر لها الابدان لا تكاد تصدق لولا ان من امثالها يقع في زماننا في كل عام تقريباً وما ان يفتقد احدنا السجون في لبنان او سورية الا ويجد فيها اباً قتل ابنتـه او اخاً قتل اخته بحجة انها حطت من شرف البيت بسيرتها الردية قال دي لاروك ما خلاصته :

« ابو ريمة الحلبي تقدم الى القاضي ثم الى الباشا واستأذن بذبح ابنته التي اهانت شرف اسمه بسوء تصرفها وسقوطها في الخطيئة . عبثاً حاول القاضي والباشا ان يثنياه بواجب

الصفح وغض النظر . دعا جماعته الى وليمة حافلة . وبينما كانوا يأكلون خرج وقطع رأس ابنه وعطاه بمنديل ولما انتهت الوليمة جاء به الى المدعوين وكشف عنه ، وقال لقد فعل ما فعل لتكون عاقبة الابنة الزانية عبرة لمن اعتبر . » (دي لاروك ص ٢٨٧-٢٩٤)(١

فيما وقفت ثمونه بنت سليمان مسقفات لكنيسة السريان. (غزي ٢ : ٥٣٠)

[١٧١٩] الاب بطرس هرنودي اليسوعي مات بالطاعون في حلب ٢٦ حزيران . ألف كتاب « تفسير المزامير » .

وفي « آثار كتب اثناسيوس البطريرك الانطاكي ما يلي :

« انا اوقفنا جميع الخمس دور من ملكنا على ايتام فقراء طائفتنا الروم بحلب ليصرف الريع في خراجهم اول سنة وثاني سنة من استحقاق اداجم الجزية السلطانية والدور المذكورات اولهم الدار الجديدة التي بجانب القلاية المعروفة بالقلاية الجديدة المكتوبة باسم المقدسي باسيل ابن عيد داود وثانيهم الدار التي بيد الخوري ميخائيل البجمي (كذا ولعله المبجي) المكتوبة باسمنا والثلاث دور الآخر الذين بيد القس برلام ونصة خوري توما واولاد الشماس يوسف الارمني المكتوبات باسم المتواجه فضول عبده ارقش . . . بعد اظهار اثبات الوقفية الدور الخمسة وباقي ريعهم يؤخذ منه في كل سنة سبعين غرشاً يدفع منها عشرين غرشاً الى شقيقتي اوستين المتوطنة في مدينة صيدا والخمسين الى اختي فوتين الكاثنة في مدينة حلب مدة حياتها لا الى اولادها والبقية تصرف في خزينة الايتام وبعد مات الاختان المذكورتان يرجع ريع الوقف جميعه الى الايتام » .

وقد اكد التزام مصروف جزية الايتام المذكورين من الريع المرقوم بغير ذكر اخراته بحجر بلاطة صخرية وضعها في القلاية . (مقتطفات صفحة ٩٣)

[١٧٢٠] ٢٥ تموز حرر البطريرك اثناسيوس دباس كما يلي صورة تمييز خصوصيات كنيسة حلب من خصوصيات مطرانها :

«خصصنا الكنيسة بما هو اولى بالانتساب اليها وذلك جميع ما يدخل من النورية على مدار السنة وجميع ما يرد من تفريق الشمع الجارية العادة به نهار عيد القديس جاورجيوس وما مائله في تفريق الشمع الصغار في اوقاته المعلومه وجميع مدخول صندوق الفقراء وثلثين ما يحصل من القداديس والنياحات ودخول الميت الكنيسة والاربعين قداساً ونصف ما ياتي من الاعياد وعلى مدار السنة فهذه المذكورات تكون جميعها مختصه بالكنيسة يقسمها وكلاؤها وليكونوا اثني عشر رجلاً من اعيان الطائفة المرتضين يصرفون منها على الكنيسة جميع

(١ Voyage fait par ordre du Roi Louis XIV vers 1672, par de la Roque.

ضروريا تها ولوازمها كمثل ثمن الشمع يوقد على مدار السنة وبتامين الكهنة والفقراء والديورة والتندلفت وما تراتب من خدم المناسبين وملاقاة القضاة وحكم الكنائس وعوارض ومصارف الاوقاف وترميم لبقاء عينهم واما ما يتفضل من المدخول المرقوم بعد اخراج المصارف المرقومة بتحفظ تحت يد الوكلاء المرقومين ليصرف بمعرفة رئيس الكهنة فيما يلزم الكنيسة المقدسة من الضروريات كالتكليس والترميم والتعمير وتجديد اواني وكتب واوقاف وما ضاهاها . . .

وخصصنا لرئيس الكهنة ما هو اقرب لتصرفه وذلك جميع ما يدخل من الاكاليل وصلوات الخطبة ونصف مدخول الاعياد على مدار السنة وثلث ما يتحصل من القناديس والتياحات ودخول الميت الى الكنيسة والاربعين قداساً واما ما يحصل له من قناديله ومن الاحسان الوارد اليه من القرى في دفنهم فذاك مخصوص به ليس لاحد فيه علاقة ولا تعرض اصلاً فهذا المدخول المرقوم يختص جميعه بالمطران المقيم حالاً بمدينة حلب لقيام اود معيشته من غير ان يطالب بمصارف اصلاً وهو كاف بمعيشته على وجه التدبير .

واما النورية فهي محتومة لحضرة البطريرك المشتولي على الكرسي الرسولي الانطاكي كائناً من كان » .

وفي هذه السنة وقع المطران مكسيموس حكيم القرار البطريركي وامضاه بخطه واضاف اليه هذه العبارة :

« ان الذي يتفضل من مدخول الاوقاف والكنيسة مما هو مخصوص بها دون المختص بالمطران تدفعه الوكلاء بمعرفة الرئيس الكاثن وتنفذ الى وفاء الدين الذي يكون على الكرسي ما دام عليه دين واذا لم يكن عليه دين فليحفظ تحت يد الوكلاء . » (مقتطفات ص ٦٤)

[١٧٢١] انشأ الشماس عبد الله زاخر الحلبي كتاب « البرهان الصريح في حقيقة سرى دين المسيح » التثليث والتجسد . (شرفة ٣٥٨)

— سام البطريرك اثناسيوس دياس جراسيموس اسقفاً ملكياً على حلب ٢٦ كانون لاول . (كارالوشكي ١٠٤)

— توفي الخوري يوسف بن جرجس الباني . (غراف ٣٨٢٠٣)

[١٧٢٣] استخدم التجار الحمام الزاجل لنقل الاخبار بين حلب والاسكندرونة . (غزي ٩٨٠٣)

— الباشا حاكم حلب يتقاضى ثمن رطل قطن على كل قنطار قطن ينزل في السوق . (موفاجه ١٩٣)

وقفت شمونه مسقفات لكنيسة السريان ووقف فتح الله (؟) مسقفات لفقراء كنيسة الروم . (غزي ٢ ، ٥٤٠)

ووقفت فروزين بنت حنا مسقفات لفقراء كنيسة الروم.

[١٧٢٤] توفي البطريرك اثناسيوس دباس في حلب وفيها كان الكهنة كلهم تقريباً كاثوليك وكذلك الالوف من الطائفين الملكيين . ونفي من حلب المطران جراسيموس بسعي سلفستروس القبرصي. (كارالوشكي ١٠٤)

— وفاة مخايل البلوزاني المطران الماروني على حلب وابن اخي البطريرك جبرائيل البلوزاني مطران حلب سابقاً . (كارالوشكي ١٠٩)

وفيها ١٥ تموز نعمة بن الخوري توما الحلبي الكاثوليكي[1] حرر مكتوباً باسم البطريرك اثناسيوس (جوهر) الى جراسيموس يستدعيه من بعلبك الى كرسي مطرانية حلب (صفحة ٢٣) . (للمقال صلة)

(١ راجع مقتطفات من كتاب عجالة راكب الطريق لمن رضي بتقليد التلفيق لنعمة ابن الخوري توما الحلبي الكاثوليكي (مخطوط م ش).

تفسير الصلاة الربية

للمفريان غريغوريوس شمعون الطوراني

نشره الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي

تعدّدت تفاسير الصلاة الربية على مرّ الاجيال . ولكلٍّ منها ميزة خاصة . فمنها ما جمع بين التأويل اللاهوتي والروحي ومنها ما لم يتجاوز سرد الآيات مردّدًا بعض اقوال القدامى ومستندًا اليها . فنرى اوريجانوس وكيرللس الاورشليمي وغريغوريوس النيسي ويوحنا فم الذهب ومكسيموس المعرّف يتبارون في تأدية واجبهم الرعاني بتغذية المقول بكلام الله، كلّ على طريقته الشخصية المعروفة ، فهناك امثال اوريجانوس والنيسي من لجأوا الى الرموز ومعانيها الروحية ومنهم من حلّل الآية التحليل الصافي الادبي كيوحنا فم الذهب ومنهم من وضع الآيات ازاء الآيات وفسّر الكتاب بالكتاب نفسه .

وفي العصور الاخيرة ممن قد تمثّل جزءًا الآخرين فجمع بين التفسير الروحاني وما يساعد على فهم كنه الكلام الرباني من اقاويل الآباء والكتاب الكنسيّين . فاخترنا للنشر تفسير المفريان اليعقوبي غريغوريوس شمعون الطوراني لما وجدنا فيه من الدرر الثمينة والآفاق الروحية الواسعة . وقد ينطوي تفسيره من وقت الى آخر على آراء تقتضي النقد والتحذير ، ونحن قائلون . وكان رائدنا الوحيد ان لا نحرم قراء المشرق الكرام من وثيقة هذه اهميتها . (وهذا المخطوط من محفوظات المكتبة الشرقية) .

اختلف المؤرخون في مولد المؤلف . فمنهم من جعل مولده في سنة ١٦٤٥ كشابو[1] . ومنهم من تطوّرت آراؤهم في هذا الصدد . فبعد ان قبل شيخو في كتاب المخطوطات العربية لكتبة النصرانية (ص ٥٤) رأيَ شابو ، راح يعاكسه في (الصفحة ١٢٧) من الكتاب نفسه اذ جعل الطوراني يموت في الجيل الثامن عشر ١٧٦٣ ، او في اوائل القرن التاسع عشر . ولكن المستشرق گراف اتخذ لنفسه مقرلة بين المقرلتين واكّد ان غريغوريوس شمعون عاش بين السنة ١٦٧٠ والسنة ١٧٦٠[2] .

---

(١) J. B. Chabot : in *Journal Asiatique*, t. VIII (1896) p. 274.

(٢) G. Graf : *Geschichte der christichen arabischen Literatur*, Città del Vaticano, 1951, t. IV, pp. 23-27. — Cf. اسحق ارملة : « جثالقة المشرق ومفارقة السريان » (عدد ٩٦) ، والمشرق ٢١ (١٩٢٣) ص ٦٦٣

باسم الاب والابن والروح القدس

نبتدي بتأييد الله تعالى ونكتب تفسير الصلوة الربانية الذي علّمها سيدنا يسوع المسيح لتلاميذه الأطهار . تأليف الاب المكرم ماري باسيليوس المقريان شمعون الكاثوليك اللهمّ انفعنا ببركات صلاته آمين

فلنرتلنّ مع المرتل داود النبي قايلين . جيد هو الشكر والترتيل لاسمك يا متعالي . عظيم هو ربنا وعظيمة هي عظمته . وليس لعظمة قوة الصلوة التي علّمها سيدنا يسوع المسيح لابناء سر الايمان منتهى. انكي يصلونها بايمان نقي. المخزون فيها جميع الاسرار العظيمة . اذا صلوها المؤمنون وهم بغير عيب وبايمان ثابت يرتقون الى السماء بها كالسلم . لانها اعني الصلوة تتمثل بالشجرة العالية . المتصل رأسها الى عنان السماء والمؤمنون المصلّون بها ببساطة . يجتنوا منها اثمار الحيوة ويقتاتون روحانياً . يا لهذه الصلوة المجيدة المثبتة الميلاد الثاني . المختص بذخيرة البنين . يا لشرف هذه الصلوة التي تجعل اخوة كثيرين لسيدنا يسوع المسيح . يا لعظمة هذه الصلوة الذي اذا صلّيناها بايمان ثابت تقي من شوايب الدنس والعيب بسذاجة صالحة . تجعلنا شركا لميراث الاب السماوي . ونتمتع بملكوته ابدياً . ونمدح بذلك المجد والبهاء السرمدي العديم ان يكون منتهياً الى ابد الاباد .

فنقول ان كثير من المعلمين الروحانيين قالوا في وصف هذه الصلوة الشريفة اقوالاً كثيرة . وانشأوا فيها كتباً كثيرة تكاد لا تحصى لكثرتها . وشرحوا في هذه الصلوة الجليلة شرحاً زايداً . واجتنوا بها اثماراً حلوة شهية لذيذة . واقتاتوا واقاتوا منها المؤمنون قوتاً روحياً . فترأى لي انا الضعيف الخاطي ان التقط منها عناقيداً . كمثل من يغير ورى القطافين . لاتيتُ ايضاً اخوتي بالمسيح. وما فضل من ثم اقتات به انا ايضاً . فلنتأملن الان في هذه الشجرة . في انه كيف غرس في قلبنا . ونبحر من اين تكوّنت شلوشه من حيث بعدما ترأوا . فعلى ما اظن انهم ترأوا لنا من صلوة سيدنا يسوع المسيح . حيث كان يصلي بعيداً من تلاميذه . فمن ثم سأله واحد من تلاميذه وقال له يا سيدنا علمنا كما علّم يوحنا تلاميذه . فلنتعلم ما الذي كانت صلوة يوحنا . فعلى ما لاح لي

ان يوحنا كمن فم العالم المزمعون ان يؤمنوا بالذي هو انذر بـه . كان يصليها بتضرع قايلًا . يا ربنا اله ابانا القوي. اهلنا لتكون لك بنيناً. ولابنك الوحيد اخوة فكمن لنا اباً بوساطة استماع صوتك . ايها الابن الوحيد المسجود احمل خطايانا لتكون لك اخوة . ولابيك بنيناً بوساطة لمس جسمك . ويا ايها الروح القدس اسكن فينا . لكي بوساطة رؤيا اقنومك نشترك بك . ايها الثالوث القدوس المتساوي الجوهر ترحم علينا . فهذه الصلوة كان يصليها يوحنا . حيث كان ينادم الله تعالى في البرّية . اعلم ان الثالوث القدوس افتقد يوحنا منذ ابتدايه. لانه الاب ارسل الملاك ليبشر بالحبل به . ومن حيث انه كان في البطن بعد ما امتلى من الروح القدس وحين شعر بالثالوث القدوس سأل الابن بسلامه. لان هذه الصور في القديسين بهذا المقدار كان [×] في الثالوث القدوس . حتى انه سمع باذنيه . ورأي بعينيه . ولمس بيديه . لانـه اولًا سمع صوت الآب . وثانياً رأى الروح عياناً . وثالثاً لمس الابن . فاولًا حس . وبعـد ذلك اشترك وباشتراكه اشركنا . ونحن حينما نرسم على وجهنا باسم الثالوث الاقدس نصير له شركاء . وبوساطة هذا الاشتراك نصير بنيناً للآب واخوة للابن ومسكناً للروح القدس . فلذلك سيدنا يسوع المسيح علمنا ان ندعي ابيه الاله في صلاتنا ابونا .

فالآن نقول ان الصلوة التي علمنا اياها الابن سيدنا يسوع المسيح تنقسم ثلاثة اقسام . فالقسم الاول هو التضرع لاجل الخطايا : والقسم الثاني هو الطلبة لنيل المنح . والقسم الثالث هو المنادمة اللذيذة بالدالة المظيمة . وهـذا القسم افضل القسمين الاولين . ومن يريد ان ينادم الله عزّ شأنه . فاولًا يتمسك بشروط المنادمة التسع لانه ان لم توجد هذه الشروط التسع في المنادم لا يستحق هذه المنادمة . لكون هذه الشروط هم من الضرب اللازم للنادم . وضروريين هم لمن ينادم الله عزّ شأنه بهذا المقدار . حتى اذا عدم من هؤلاء التسع شرط واحد فقط . فلا تتم المنادمة . فمن اللازم الضروري حفظها واقتنايها والعمل بها . حتى اذا نادم المنادم الباري تعالى بهذه الشروط التسع يقبل منه تعالى المنح.

وان سأل من ينادم ومن هو .

فنقول المعرفة والامانة والمحبة والوجا والتجرد والصوم والتواضع والاستماع

والاحتمال . فاعلم ان من لم يعرف الله حقّ المعرفة لا يستطيع ان يؤمن بـه وان لم يؤمن به حقّ الامانة فلا يقدر ان يحبـه حق المحبة . ومن لا يحبه فلا يترجاه . ومن لم يكن فيه رجا . لم يقدر يتجرد . ومن لم يتجرد فلا يصُم . ومن لم يصم فلا يتضع . ومن لم يتضع فلم يسمع . ومن لا يسمع لم يحتمل . ومن لا يحتمل فمن المعلوم لم يقدر ان يصلي . لان الصلاة هي كمال العشرة ، وختماً للتسع الشروط . لا يجب له بل ولا يستحق ان ينادم الحقّ جلّ وعلا . ولهذا قليل من الناس من يستعمل هذه المنادمة . والذين يداومون هذه الصلوة يجب لهم حفظ هذه الشروط لان خلوًا منها لا تتم هذه الصلوة وان قلت من يقدر يحفظ هؤلا . الشروط بالفعل على ما ذكرت . فاجيبك نعم افتعالهم ممكناً . لاننا نرى البعض من الناس اذا رام يأخذ له من الملك الارضي وظيفةً ما او رياسة او سلطة تراه يقدم كل جهده ليجعل له وسايطاً ليتوسلوا في ان يقدموه امام ذلك الملك ليستشفعوا له امام الملك تلك المرتبة . وقبل ان يشرعوا في دخوله يجب ان يستأذنوا الحجاب الداخلين في بلاط الملك كل منهم بمفرده . لئلا اذا دخل يتعارضه احدًا منهم . وان لم يفعل هكذا لا يستطيع الدخول امام الملك . وان قال انني دخلت الى عند الملك بغير وسايط ويقصى عن الملك وعن كيفية ترتيب نظامه وانواعه . ترى من يصدقه لا لعمري . وشاهده انه صغر اليدين مما رامه من الملك . وان تجاسر ودخل عند الملك . فلم تجرأ على المنادمة معه . لكون الملك خلوًا من وسايط لا يتجري احدًا ليس على منادمته فقط . بل ولا يستطيع ان يمشي خطوة في بلاط الملك فضلًا عن منادمته . فان كان من يروم الدخول الى عند ملك ارضي هكذا يريد له وسايط وتكلف زايد ليمنحه منحة ما زايلة . فما ظنك بمن يروم ملك الملوك ورب الارباب . كم يجب له ان يعتني في ان يقتني هذه الشروط . وذلك بغير وسايط ولا مال . بل انه يتخذ هؤلا . الشروط وسايطاً . وبوساطة هذه الشروط يقتني تسع فضايل . وبهم ينال ملكوت السما . حيث انه قدم امامه هذه الفضايل التسع . كأنه ارسل امامه تسع هدايا . لتصير منادمة بدالةٍ عظيمة كدالة الابن الى ابيه . اعلم ان هذه الشروط التسع تتلد من بعضها . واستعمالها يعود سهلًا . فالمعرفة تلد الأمانة والامانة تلد المحبة والمحبة تلد الرجا . والرجا يلد التجرد . والتجرد

يلد الصوم والصوم يلد التواضع. والتواضع يلد الاستماع. والاستماع يلد الاحتمال. ومن الاحتمال يلد الصلوة اي المنادمة مع الله عز وجل . واظن ان هؤلاء الشروط هم العشرة الاف الذي يقوتهم وبوساطة اتكالنا نستطيع ان نلاقي اعدائنا الجايين الينا في عشرين الف . وان رمت ان تعلم منفعة هذه التسع شروط من الضرر الذي يحصل بعدمها. اعلم ان المعرفة هي قبال التيه والضلال. والامانة هي تجاه الشك والكفر . والمحبة هي ازاء الحقد والبغضة . والرجا امام الضيق وقطع الرجا . والتجرد هو مقابل الهمة ومحبة الفضة . والصوم هو قصار الزنى ومحبة البطن . والتواضع ملاقي الكبريا والافتخار . والاستماع مقابل العصيان واثبات الارادة . والاحتمال هو ضد الكوارث والمضايق . والصلوة هي قهر للشيطان وكل قواته . فهؤلاء هم اسلحة الله الذي قال عنه الرسول لتكون متسلحين بالمعرفة وحاملين ترس الامانة وملتهبين بالمحبة. وساعيين بالرجا. ومتكبدين التجرد . ومتدرعين بالصوم . وساجدين بالاستماع . ولابسين الاحتمال ومتجليين بالاتضاع. وحين نُضرب من اعدائنا فباطال نسل سيف الصلوة ذو [×] ونلمحه امامهم . ونلقاهم به غير مبالين . ونحن متكلين على اعانة ابينا السماوي . ومن ثم ترى اعدائنا منهدمين . ونحن بالغلبة قايمين متكللين .

وهؤلاء التسعة شروط هم التسعة فضايل الذي كان اقتناهم اخ من المتوحدين . وجاهد جهادًا عظيمًا ليقتني الصلوة التي هي المنادمة مع الله تعالى . وبانتقاله من مكان الى مكان بدد اوليك الفضايل التسع الذي اقتناهم بكد وكدح عظيم . اعلم ان سيدنا له المجد دخل في هؤلاء التسع الشروط . واتمهم بالصلوة الذي كان يصليها . وهو تعالى علمنا لنصليها . لان في سابق معرفته انه يخلصنا . لانه صدق ان قوته القادرة على كل شيء تقدر على عدونا . وصعب عليه من اجلنا لانه احبنا . وصار له رجا. ليكن به لنا الرجا . فحينئذٍ تجرد وصام واتضع امام عبيده واستمع لابيه حتى الموت موت الصليب كقول الرسول . واحتمل جميع الآلامات . وكان يصلي متواترًا ولهذه التسع شروط مكابدًا . وهؤلاء جميعهم فعلهم لاجلك وفرط حبه لك يا دودة حقيرة. وانت لا تشاء ان ترضيه بهؤلاء الهدايا التسع لتنادمه تعالى . فهو رضي واقبل بعقله

هؤلا. الشروط. وما وجد له من يعزيه بتعزية ما ولا من تلاميذه. لان الواحد منهم باعه . والاخر نكيره . والآخرين تركوه وهربوا . واما ابوه السماوي لم يرث له . بل انه بحالةٍ ضيقة اختفى عنه . حتى انه اضطر ان يصرخ مستغيثاً اليه قايلاً . الهي الهي لماذا تركتني . فيا هذا اعتبر كيف انه احتمل كل هذه الآلامات لاجلك لينقذك ويخلصك من الخطية واسر الشيطان . حيث انه كان قادرًا بصيرورته ملاكاً لاستنقاذك . لكنه من حبه لك اتحد بطبيعتك ليشرفك ويعليك ويورثك السعادة الابدية في ملكوته السماوي . اذ اقتفيت اثاره . وانت لم ترضي اقل ما يكون ان تصلي له الصلوة التي علمك اياها باشخاص تلاميذه بالشروط الواجبة لها . الذي اذا صليت كواجبها تصير ابناً لابيه بالذخيرة الابنية الذي اختصك بها . فاعلمي يا هذا اذا رمت الدخول لحكم ما . وقال لك احد المتقدمين اليه ان لم تفعل ما كذا وكذا لن تقدر ان تدخل . اتراك كنت تخالفه وتفعل ضد ما امرك لا لعمري . بل كنت تفعل جهدك في انك تزيد عما قاله لك . ليصير لك عنده دالة اوفر وذلك لتنال منه منحة دنيوية زايلة . فكم بالحري سيدك وخالقك الذي عانا شدايد. وكابد اتعاب . واحتمل الآمات هذه عظم مقدارها لاجلك وعلمك ان تقتفي اثاره . اي انه صلّى لا لحاجة منه . بل لتحذو حذوه ولمحبته لك يا انسان بعد كل هذه الاقوال مات مصلوباً عوضك. وانت تتهاون به الى هذا الحد . يا لهذا الجهل الفظيع كونك قدمت . بل انك اخترت رضى الناس على رضاه لاجل منحة ما زايلة . والذي يخزلك السعادة الدايمة اهملت رضاه . اما سمعت النبي القايل ملعون من اختار رضى الناس على رضاه . فلا جرم انه يحيق بنا عذاب اليم . كون اننا اهملنا حب خالقنا . الذي اوجدنا من العدم . وتركنا غاية سعادة حياتنا الابدية . فهلمّ بنا الآن لنبصر سيدنا يسوع المسيح كيف علمنا نصلي في كل حين من غير ملل قايلًا اذا صليتم قولوا .

ابونا . اعلم ان لفظة ابونا تتجه الى ثلاثة اقسام .

القسم الاول عامي والثاني نسبي والثالث خاصي . وهو الاجل . فالقسم العامي الذي هو ابونا بما انه هو ابو الكل عموماً . والقسم النسبي ابونا بما انه هو اب الذين يعرفونه ولكن من حيث اختياره لم يفعلوا . واما القسم الخاصي ابونا

فهو اب الذين يعرفونه ويحفظون وصاياه . ويفعلون اختياره واوامره ويتممون رضاه . والذين هم هكذا فهم المخلصون بدم ابنه . والذين هم هكذا فهم مميزين ليصيروا اخوة لابنه . وشركايه في ميراث الآب. فيجب علينا ان نجتهد ونعمل ما يرضي به ابينا ونضع اوامره كما هو واجب . ومن ثم نلقي عليه جميع همنا لانه تعالى قادر على تدبيرنا وهمنا . وكونه عالم بما يلزمنا وما هو مفيد لخلاصنا . غير اننا نكون موثقين برجايتنا به في اي امر كان لا على غيره . لا في هذا العالم الزايل ولا في سلاطينه العابدين كما اوصانا الروح القدس بفم داود النبي القايل . لا تتكلوا على الرؤسا. ولا على بني البشر الذين ليس عندهم خلاص . بل ولا يكون رجانا في الاموال والغنا . ولا في الاهل والاقارب . حتى ولا بالآباء الجسدانيين بل نكون كالايتام من الاب الذين متى ما تضايقوا من اي امر كان يدعو الى ابيهم . وكذلك نحن ايضاً نكون كأننا خالين من معين ما . وليس لنا من يرثي الينا . كما قال النبي ابي وامي قد تركاني . فاما الرب قباني اي ابي وامي الجسدانيين تركوني وانت يا رب قبلتني لكوني توكلت عليك من الرحم . ومن بطن امي انت الهي . فاراد بالرحم هنا المعمودية المقدسة . وقوله من بطن امي انت الهي اعني اننا حين نخرج من المعمودية المقدسة التي هي امنا الروحانية نتطرح عليك لانك انت رجاءنا وقوتنا .

اعلم ان يوحنا المعمدان قال للذين كانوا يأتون اليه ليعتمدوا منه يا اولاد الافاعي [×] هنا شبه الذين يعتمدا منه باولاد الافاعي تشبيهاً حسناً. وهذا التشبيه يُدعى تشبيه الخاص بالعام. لان الافاعي الاناثى يقبلون الزرع من الفم . وحين يولدون من بطون امهاتهم فياكلون بطون امهاتهم ويخرجون حيّين . فهذا القول من السابق هو زجرًا الى الكتبة والفريسيين بما انه كان عالماً بخبثهم ومكرهم . لانهم كانوا ضد الصابغ واخيرًا قُتل منهم . ولهذا قال لهم يا اولاد الافاعي . فبهذا القول اراد يا بنوا قتلة الانبياء. فمن المعلوم ان قتلة الانبياء هم الافاعي لشرهم ومكرهم . والافاعي لا تلد الا افاعي . ولهذا دعاهم يا اولاد الافاعي . وحرف يا هنا فهي للتعجب فكأنه يتعجب منهم اذ رآهم مقبلين للمعمودية بكثرة . والدليل في تعجبه قوله التالي : من دلكم على الهرب من الغضب الآتي ، فاعني بالغضب الآتي الى حدهم وكبريائهم مزمع

ليس ان يأتي عليهم طيطوس قيصر ويبيدهم (يبيدهم) فقط. بل ومن الغضب الذي يأتيهم في يوم النشور. كما قال المسيح ايضاً على لسان ماري لوقا. ان الامة سوف يرتعدون من غضب المسيح ووجهه الغضبان فيقولون للجبال اسقطوا علينا والأكام غطونا عن وجه الجالس على الكرسي. ومن غضب الحروف لان يوم غضبها العظيم قد اوفى وافى. فمن يقدر على الوقوف فهذا كله كان زجراً وتوبيخاً الى عام اليهود. واما تشبيهه باولاد الافاعي فكان رمزاً خاصاً للتائبين منهم. الذين من ثم آمنوا بالمسيح. ورمزاً لنا بوجه الخاص. وقوله لهم اى للتائبين منهم يا اولاد الافاعي من دلكم على الهرب كانه يتعجب من رجوعهم قايلاً لهم. من وعظكم بالغضب الآتي عليكم حتى انكم اقبلتم لتتعمدوا. فاعملوا الآن ثمرة تليق بالتوبة. فيوحنا المعمدان كان منذراً بملكوت السما. وموعداً بها للتائبين من اليهود ولنا ايضاً. وكذلك كان منذراً بغضب الله وجهنم ومتوعداً للغير التائبين. واما قوله يا اولاد الافاعي فهذا كرمز لنا لكوننا نحن نزلنا الى فم المعمودية كمن زرعنا فيها. حين [خرجنا] منها كأننا كالأفاعي نأكل بطن امنا ونخرج حيين. اي نقبل من بطن المعمودية امنا الحيوة. ونميت بطنها اي تخلى منا وتبقى فارغة اي مايتة. ونحن نحيي لكون اننا اخذنا منها القوة والحيوة. ولهذا نحن حيينا وامنا ماتت. فمن اجل هذا نحن صرنا يتاما. فاذا لاف هنا باليتيم اذا اندعط من كرب وهم يلقي همومه كلها على ابيه السماوي من حيث امنا المعمودية قبلتنا من فه الشريف بوساطة صوته الصارخ من العلى قايلاً: هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت. فان كنا صرنا اخوة المسيح حقيقة بوساطة المعمودية التي اغتمد هو تعالى بها واتلدنا نحن معاً منها. فالصوت الذي صرخه الآب لا جرم كان لجميعنا معاً. اعلم ان هذا الصوت كان بالحري لاجلنا نحن. اكرى مما كان للمسيح الهنا. لان المسيح لم يكن محتاجاً ان يعرف الآب. ولا حاجة للآب ان يعرف الابن لكون الآب والابن من الازل عالمين بهذا العالم. غير ان هذا الصوت كان للمسيح خاصة ليشتهر فيما بين الخليقة انه ابن الله بالجوهر. وهذا الصوت كان لنا نحن ايضاً لنشتهر ونعرف ان كل معتمد منا قد صار ابناً لله بالنعمة واخوة المسيح وبنو ميراثه. وكان لنا هذا الصوت بالضرورة اللازمة لنا. لكي من بعد خروجنا من امنا المعمودية المقدسة ونسمع لهذا الصوت الشريف نعرف

ونتيقن بالحقيقة اننا بنوه بوساطة نعمة التي حلّت علينا بالمعمودية . ونتحقق اننا نحن من ذرعه . ليس من ذرع غريب الذي هو الشيطان . ذلك الذي منذ البدء كان القى ذرعه في امنا حوى وزنا معها . فاما الآن نحن ليس عبيد له . ولا هو ابونا ونبين الزني كائناً من البدء . بل الآن صرنا احرارًا وبوساطة صراخه لكل منا انت هو ابني الحبيب صرنا بنيناً لله العلي واخوة المسيح ووارثين معه في كل شيء الذي للآب السماوي . واما نحن فعلى الفور ندعوا الاب ابانا . وان نحن صنعنا ارادته واكملنا اختياره . فهو ابونا الحقيقي ونحن بنوه الحقيقيين . نحن الذين ليس من دم ولا من هو اللحم ولا من مشيته رجل بل من الله روحانيا ولدنا .

فلذلك وجب علينا ان نصنع ما أمرنا به ابونا . ونحفظ وصاياه بالفعل ونكمل اختياره . لكي اذا ما ضغطنا باي نوع كان . فبالحال ندعيه لخلاصنا فيستجيب لنا ويعيننا ويساعدنا . فلا يليق بنا ان نكون غير طايعين له . وبقلة استماعنا وحفظنا وصاياه نعصاه ليلا يعثنا القول للكتبة والفريسيين ولو انهم اعتمدوا من يوحنا . لكنهم لا زالوا مصرّين على مكرهم وخيانتهم وعصاوتهم . يا اولاد الافاعي من دلكم على الهرب من الغضب الآتي . اوليك الذين استحقوا من الله غضباً ورجزاً . ويحفظ لنا غضب الحكم قايلا لنا تنحوا عني يا ملاعين العصاة الى النار المؤبدة لاني ليس اعرفكم . فيجحدنا ولا يعرفنا . وعوض الوراثة التي تكون لنا مع ابنه نار جهنم يورثنا . وذلك لكوننا ما حفظنا وصاياه . ولا فعلنا اختيارة كابنه الحبيب . فمن هذا الجري نفسه لا يعطينا الوراثة معه . لكوننا نخالفه ونطيع في كل شيء للشيطان . وهو تعالى ايضاً عتيد ان يجازينا مع الشيطان الذي عصاه ويورثنا جهنم صحبته .

اعتبر يا اخي محبة سيدنا يسوع المسيح ورغبته فينا . ذلك الذي من بعد ما صنع امورًا فايقة تزيد على مقدار المحبة التي الزمته ان يتجسد ويتألم ويموت ليقينا من العبودية واخيراً صنع ذاته في سرّ الافخارستيا اي جسده ودمه الاقدسين حتى بتناولنا هذا السرّ مع حفظنا اوامره وتتميمنا اختياره نتقدس ونصير بنو ميراثه وملك معه . لكونه هو غايتنا القصيا ونحن نتوانا عن تكميل اختياره . من حيث اننا نعرف بانه تعالى رضي وصار لنا وسيطاً ووهبنا ذاته الشريفة ولم يشفق على عظمته التي هي اجلّ من كل ما في السما . والارض

وذلك لاجل محبته لنا . ونحن نتوانا في اقتنالنا اوامره . ما هو واجب علينا ان نصنع مشيته ونكمل اوامره ونحفظ نواميسه لنستحق الدالة العظمى عنده . ويمنحنا نعمته لتحفظنا وتشجعنا وتكون لنا سترًا وعزاء وافرًا لكي اذا رأنا عدوّ الخير ارتقينا الى درجة البنين يؤذينا ويغيظنا . فنكون نحن مستعدين نقوم امامه رافعين عقولنا الى السماء باسطين ايدينا بتلك الدالة العظيمة التي لنا عنده صارخين بقلب منسحق قايلين له يا ابونا . فحين يسمع ذلك المغتصب اللعين صراخنا يا ابونا يتنهّد من قلبٍ حزين متمرمرًا باشنع المرارة. صارا اسنانه علينا بجدةٍ هذا عظم مقدارها حتى انه يعجزنا لنفشل ونتراخى عن تكميل ما امرنا الله به. فالمخزي حين يرى تراخينا وتكاسلنا فياخذ منا الرخاوة والكسل ويحاربنا بهم ليلًا نذعر ابونا لاسعافنا . فاذا ما تشجعنا بمعونة ذلك الذي صار وسيطاً لنا وهتفنا صارخين لابيه يا ابونا فيفتكر ذلك الاثيم في ذاته قايلًا . ترى لاي اب يصرخون بنا ان المنكود حظه دأب الائمة الاشقياء. فيتخيل اننا صارخين له . فتردف قولنا الذي في السماء . فحين يسمع اللعين قولنا هذا يولي عنا خائفًا برجفةٍ عظيمة . ذلك الذي سقط مع قواته من رمز البـاري تعالى مثل البرق .

وان قلت متى كان ذلك .

اجبتك حين رفع عقبه على الخالق تعالى . وافتكر ليدفعه من كرامته . وذلك كان سبب تشكيكه ولهذا السبب عينه تنازل الابن جلّ شأنه وتشبه بنا بالناسوت الذي اخذه منا ما عدا الخطية لينتقم منـه . فاولًا تجرّب منه فاغلبه . وثانياً انه فعل جميع النواقص اذ هو بريأ من النقص . وذلك ليرينـا ويعلمنا باي فعلٍ غلبه . لنضع نحن ايضاً ونغلبـه وننتصر عليه . وشجعنا ايضاً بقوله لنا قولوا ابونا . فحين ينظر الاب انه ابنه يشبهنا ونحن على المدا صارخين له ابونا الذي في السماء كالاب الذي يصرخ ابنه له . هكذا نحن نصرخ لـه يا ابانا حيث اننا جميعنا متردين مع ابنه بناسوتٍ واحدٍ . اعلم ان ناسوت ابنه سيدنا يسوع المسيح صار لنا . وبه نصعد الى الاب الذي كان بعيدًا منا . فهذا هو السلم الذي رآه يعقوب ابو الاسباط في بيت ايل . فـلا يجب ان نتراءى للآب شبيهين ابنه بالناسوت فقط . بل اننا نسمع وصاياه ونحفظها ونكمل

ارادته ونفعل اختياره في كل شيء . فاذا ما فعلنا ذلك نكون شبيهين ابنه . وان لم نكن مشابهين ابنه بالفعل، فالآب لا يقبلنا ان نكون له بنيناً. ليتَ شعري ما الذي ينفعنا ويفيدنا اذا شابهنا ابنه بالناسوت فقط وليس بالفعل ايضاً . فها جميع الناس يشبهون ابنه بالناسوت. فما تولك هل الناس جميعها هم بنيناً لله. اسمعه ماذا يقول للمرأة التي قالت له من بين الجموع بارتفاع صوتها . الطوبى للبطن الذي حملك والثديين اللذين ارضعاك. فاجابها قائلاً مهلاً . الطوبى للذين يسمعون كلمة الله ويحفظونها. كما اجاب للقايلين له ها امك واخوتك خارجاً يطلبونك . من هي امي ومن هم اخوتي. فكل من يسمع كلام الله ويفعل مسرّته. هو اخي واختي وامي . كما قال ايضاً في كرزه طوبى لصانع السلام فانهم بنو الله يدعون ـ فانظر كيف انه تجد يعلّمنا معلّمنا الحقيقي ان نصنع دائماً مع ابيه الصالح السلام . ونفعل اختياره ونحفظ وصاياه واوامره لننال منه تلك الطوبى والنبطة السمية . ونصير لابنه من حيث اقتفاينا اثره اخوةً . فحينئذٍ يرانا الاب اننا نشبه ابنه في كل شيء . يشركنا معه في ميراثه السماوي . وفي كل شيء نسأل الآب باسم ابنه بغير شك وتقسم ننالهُ بقوله العزيز بوساطة. تصديقنا واعتقادنا بنية طاهرة ننال ما نريد من الابن باسم الآب . ونتبرّر من طايلة قلة استماعنا كلامه وحفظنا وصاياه . لاننا اذا فعلنا ذلك يصير لنا عنده دالةً هذا عظم مقدارها . حتى انه يمنحنا كل ما نطلبه منه بايمان صادق خالٍ من شوايب الشك والتقسم كقوله تعالى مهما تطلبون آمنوا انكم تنالونه فيكون لكم. وقوله ايضاً اطلبوا تجدوا . اقرعوا يفتح لكم لان كل من يدعوا يُجاب ومن يسل يأخذ . فاذا ما كانت نياتنا ثابتة من افعالنا وحسن اتكالنا فحينئذٍ نستحق المخادمة مع الآب السماوي كالابن الطايع ابيه ومدمناً على استماع كلامه ومكمل اختياره ومتمم رضاه بالفعل . فلما يرى الآب صورة عقل ابنه صافية كالمرآة بوساطة وصاياه فيحبه ابوه محبة هذا عظم مقدارها حتى انه يسلمه كل ما له . فاصفاوة عقل ابنه ينظر ان ما احدًا يشبهه سوى ابنه . والابن ايضاً يرى ان ماله شبيه سوى ابيه . فمن ثم جميع ما للآب يناله الابن . فعلى هذا النحو ابونا السماوي . فان رآنا طايعين له ومكملين ارادته حتى الموت . ورأى

عقلنا قد صفي بوساطة حفظنا وصاياه واتممنا اختياره بالفعل فيصرخ الابن علانيةً قايلًا يا ابتاه . كما انت فيَّ وانا فيك ليكونوا هم ايضاً فينا واحدًا كما نحن واحد . فمن ثم يقوم العقل بدرجته الاولى بالكمال شبه خالقه . ونحظى بالسعادة الابدية ونحوز ذخيرة البنين الذي للآب السماوي ونبلغ الكرامة السامية التي هي غايتنا القصيا . فحينئذٍ نقدس اسم ابونا بقولنا :

ليتقدس اسمك . فحين نقدس اسمه الكريم يلتذ اعلى من تقاديس السارافيم. وليتمجد بتقديسنا امجد مما يتمجد من ساير تماجيد وتسابيح جميع الملائكة النورانيين من حيث ان الملئكة ما اعتنا في خلقتهم كما اعتنا في خلقتنا لانه تعالى شاء فخلقوا . كقول المرتل بكلمة الرب صُنعت السموات وبروح فمه كل قواتها . اما نحن فليس كذلك . بل في خلقتنا قال تعالوا نخلق انساناً على صورتنا ومثالنا . فبقوله هذا اراانا انه فعلًا فعل . لانه كان مزمع ان يفعل فعلًا عظيماً لتكمل الصورة بالكمال لتكون مثله . لقوله بفم النبي يداك جبلتاني وصنعتاني . واما قوله تعالوا فهو لمساواة ارادة الثالوث الاقدس في ابتدا الفعل الكيما بكمال الفعل يتمجد منا الثالوث الاقدس بالسوية . لان ذلك التقديس والتمجيد الذي حصل له في نهاية فعله فالآن يجب لنا ان نقدس ونمجد ابونا السماوي لاجل كمال فعله الذي صنعه . فمن هنا علمنا ان اسمه لا يتقدس منه مجاناً بغير عنا. كتقاديس الملئكة. بل هذا التقديس هو مبتاع بدم ابنه الوحيد. ذلك الذي اسلمه الى الموت بالصليب لاجل خلاصنا. فمن ثمَّ يجب علينا الّا نهزي من تقديس الآب بابنه والابن بابيه وروح قدسه . فيتقدس اسمك من جميع المخلوقات . من حيث انهم علموا اننا كنا غير موافقين وخطاة اثيمين . فالآن لما يروا اننا صرنا للاب بنيناً ولا نحن اهلًا لمراحمه فيتعجبون من انعام الله الغزيرة ويقدسون ويمجدون اسمه العظيم المجيد . يتقدس اسمك بقداسة جميع اعضاينا وحواسنا لانه تعالى قال كونوا قديسين كابيكم السماوي فانه قدوس فاذا ما ادينا التقديس لابينا السماوي فتتقدس اعضاينا وحواسنا واذا حفظنا وصاياه بالفعل فبالحقيقة يسكن فينا الثالوث المقدس . لقوله الشريف كل من حفظ وصاياي انا والآب اليه نأتي وعنده نصنع لنا منزلًا . وفي كل شيء يقدس نقول باسم الاب . ليتقدس اسم الآب بذلك الشيء الذي يتقدس لاننا بافعالنا

الحسنة الصالحة تقدس اسمه . فاذا ما ترانا الناس بهذه السجايا فيقدسون ويسبحون ابونا الذي في السماء من حيث اننا كنا ضعفاء ساذجين والشيطان عدونا بقوة كبريائيه يروم كسرنا وهلاكنا . ولكنه حينما يرى قوة اسم ابينا العظيم محيطة بنا كالصور الحصين يفر هارباً ولا يعود له استطاعة ان يدنو الينا . لكون اننا متسلحين امامه بقوة اسم ابينا العلي وبهذا الاتكال نصرخ قايلين :

لتأت ملكوتك . اعلم ان لفظة الملكوت المذكورة في الانجيل المقدس تتجه الى اربعة اقسام :

القسم الاول : تعني عن المعرفة الالهية .

والقسم الثاني : تعني عن مجيء مولانا المسيح بالناسوت المضاهي لنا لمّا كان في حال البرّ الاصلي وبشارته المحيية .

والقسم الثالث : تعني به عن قيامة سيدنا يسوع المسيح .

والقسم الرابع : تعني عن الملكوت التي يرثوها الصديقين مكافاة لاتعابهم في يوم القيامة . امّا قوله هنا تأتي ملكوتك إعني تأتي معرفتك يا الهنا الينا لتعيننا وتساعدنا . فسيدنا يسوع المسيح علمنا هذه اللفظة الشريفة لنطلبها من ابينا السموي . اي ان نطلب منه المعرفة الالهية . لكي بوساطتها نعرف ما الذي يرضيه ويختاره . فنكمله بحفظنا وصاياه واوامره . فقوله تأتي ملكوتك اي معرفة الالهية هي التي قال عنها : اليسر هو دخول الجمل في خرم الابرة من غني يدخل ملكوت الله . فاراد بقوله انه لم يستطع احد يدخل الملكوت اي يقتني المعرفة الالهية ما لم يحذف عنه الاقتنا العالمي ويرذله . فاذا ما تجرّد من الهموم العالمية ونبذ عنه الامور الدنيوية فيسهل عليه اقتنا المعرفة الالهية . كما قال ايضاً عنها ملكوت السما بالغصب تؤخذ . والغاصبين يختطفونها اعني ان الانسان طال ما هو مهتم في الاقتنا العالمي يعسر عليه اقتنا المعرفة الروحانية . وقوله والغاصبون يختطفونها اي المتجردون من القنية العالمية يستطيعوا يخطفوا المعرفة لانها بدون التجرد لا تقتنا . كما قال عنها ايضاً ملكوت السما هي داخلكم . اعني اقتنا المعرفة الروحانية المجرد من الهموم الدنيوية سهل جداً . لكونها داخلنا اي تحت ارادتنا لقوله ايضاً لا يستطيع احد يضع يده على

سكة الفدان وينظر الى ورايه . اعني من رام ان يقتني المعرفة الالهية لا يجب له ان يتعلق بالاهتمام العالمي . وانظر ماذا يشبه المعرفة الالهية بقوله تعالى تشبه ملكوت السما كنزاً مخبو في حقل . فوجده انسان فاخباه . ومن فرحه بـه مضى باع كل شي. له واشترى ذلك الحقل . اي ان من يروم يقتني هذه المعرفة الالهية فانه يراها مخفية في طي الهموم العالمية . فاذا اراد يقتنيها يجب ان ينفصل من الامور الدنيوية بالكلية . ومن ثمّ يقتنيها لتشبيه التالي بقوله تشبه ملكوت السماوات حبة خردل اخذها انسان وزرعها في حقله الى اخره . اي ان الانسان اذا اقتنا المعرفة الالهية فتنمى فيه جميع الفضايل الروحانية . وبوساطة هـذه الفضايل يُعان على محاربة اعدايه . كما قال عنها ايضاً تشبه ملكوت السماوات انساناً تاجراً يطلب الجواهر الحسنة فوجـد جوهرة واحدة كثيرة الثمن فمضى وباع كل شي. له واشتراها . اي ان الذي يطلب المعرفة الروحانيـة فحين يشعر بها يجرد ذاته من جميع الامور العالميـة كلها ويقتنيها لقوله ايضاً ان ملكوت السماوات لمثل هؤلا. الصغار . فاراد بهذا ان المعرفة الروحانية لا يقتنيها الّا من كان ليس له اهتمام بالعاليات . ولا يهتم في ان يقتني شيئـاً كالاطفال الصغار لقوله تعالى ايضاً . اطلبوا اولاً ملكوت الله وبرّه وهذا كله يزدد لكم . فانظر يا اخي كيف ان سيدنا يسوع المسيح يعلمنا ان نتجرّد من امور العـالم بالكلية ونقتني فقط المعرفة الالهيـة وليس الا بقوله اطلبوا ملكوت الله اي المعرفة الالهية التي اذا ما اقتنيناها نصنع بها امامه البرّ . اي اننا نؤمن بـه ايماناً صادقاً ونفعل افعالاً صالحة بحفظنا وصاياه واوامره . ولا نبـالي بالاحتياج لقوله وهذا كله يزدد لكم . اي انه اذا رأى اننا مؤمنون به ايماناً حيًّا خالياً من شوايب النقص والريب ومتكلف عليه باتمامنا اختياره وفاعلين بناموسه . فيعود هو ايضاً يكمل احتياجنا بزيادة لقوله تعالى ان ابآكم عالم بمـا تحتاجون قبل ان تسألوه فانظر يا هذا كيف انه تمجّد اسمه يجردنا من كل فكر عالمي حتى انه يفصلنا من كل همة دنيوية . ولا يروم منا الا ان نعرفـه تعالى حق المعرفة . ونعرف ما يرضيه لنفعله وليس الّا .

اسمعه ايضاً كيف يثبت هذا بقوله . لكم اعط ان تعرفوا اسرار ملكوت الله . واما الباقون فبالامثال يكون لهم كل شي. . ارأيت كيف ان المتجرّد

من الامور العالمية والهموم الدنيوية كالتلاميذ له ان يعرف المعرفة الروحانية . وقوله الباقون فبامثال يكون لهم كل شيء . فاعني بالباقين عن الذين هم ملتهين بالعالميات لهم ان يستفهموا عن كل بالامثال . لكونهم ليس هم مجردين من التعلقات الدنيوية ليقتنوا المعرفة الالهية . فلهذا قال ايضاً كل كاتب يتلمذ لملكوت السماء يشبه رجلاً ربّ بيت يخرج من كنوزه جدداً وعتقاً . فاعني بذلك ان من يقتني المعرفة الروحانية يستطيع ان يصنع الصالحات .

واما القسم الثاني المدعو ملكوت اي اتيان سيدنا يسوع المسيح وبشارته المحيية . لقوله تعالى قد دنت منكم ملكوت الله . اي ان سيدنا اتى الى العالم متأنساً . وكرز في العالم ليؤمنوا به ويخلصوا من خطاياهم ويرثوا النعيم . وايضاً يقول قد قربت منكم ملكوت السماء اعني ان سيدنا تمجد قرب الآن يُصلب ويخلص الاسرى من الجحيم . وقوله يكون بهذه البشارة للملكوت في العالم اجمع . فاعني بهذا عن بشارة مجيه المحيية . لقوله ايضاً ان الصغير اعظم من يوحنا في ملكوت السما . اي انه تعالى جلّ وعلا اعظم من يوحنا لانه ابن الله . وقوله ايضاً كل من يسمع كلامي هذا ولا يعمل به الى آخره . اعني بذلك ان من يسمع تعليم المسيح الهنا وما يعمل به فهو لا ينجح في كلّ امر يصنعه . وايضاً قال تشبه ملكوت السما لرجل قد زرع زرعاً جيداً في حقله الى آخره . اعني ان الذي يؤمن بسيدنا يسوع المسيح اتى لخلاص العالم ومن ثمّ عدو الخير غشه واضلّه فسيحرق كالتبن بنار لا تطفى . ويقول ايضاً تشبه ملكوت السماوات خميرة اخذتها امرأة وخبأتها في ثلثة اكيال دقيق . فاراد بالخمير المعرفة الروحانية الموهوبة من الروح القدس . واراد بالمرأة الحكمة الذي هي سيدنا يسوع المسيح . وبالثلاثة اكيال دقيق اراد بهم النفس والروح والجسد . فاذا ما اقتنى الانسان هذه الخميرة التي هي المعرفة الروحانية فيحويها ضمن هذه الثلاثة النفس والروح والجسد . وقوله ايضاً تشبه ملكوت السماوات لشبكة القيت في البحر الى آخره . فاراد بقوله شبكة الى بشارة المحيية . والبحر هو هذا العالم. لان التلاميذ لما انذروا في العالم البشارة المحيية . فامنت بها من اليهود والعبرر والمجوس والاحرار والعبيد . وقوله لما امتلأت الشبكة اصعدوها الى الشاطئ . فجمعوا الخيار في الأوعية والشرور طرحوه خارجاً . اي الذين آمنوا واقتنوا

بايمانهم الفضايل الروحانية فهم لوراثة النعيم . وبالعكس اي الذين لم يؤمنوا فيلقون خارجاً اى خارج النعيم وخارج النعيم ليس هو الا الجحيم . وقوله ايضاً تشبه ملكوت السماء لرجل خرج عند الصباح ليستأجر من الناس آمن على يد المسيح والبعض امن على ايدي الشهدا والقديسين من اصطناعهم العجايب والجرايح . والبعض من بوساطة كلام البشري خلواً من شك وريب . ايماناً مستقيماً من غير احتياج الى عجايب وآيات واصطناع جرايح . بل ولا لمعجزة باهرة فيشاهدونها ليؤمنوا وما ذاك الا لكون انهم لم يكونوا في عهد المسيح . ولا في عصر التلاميذ بل ولا في زمان الشهدا والقديسين كي يجابوا الى الايمان. وهذه الطايفة هم الذين منحوا الطوبى من الرب بقوله : الطوبى للذين لم يروني ويؤمنون بي . وقوله تعالى ايضاً ملكوت السماوات تنزع منكم وتعطى لامم آخرين يصنعون ثمرتها . فالمسيح هنا صرّح لهم عما سيأتي عليهم بعد استشهاده من انتزاع كهنوتهم ورياستهم . وذلك يصير الى الامم القريبة الذين يؤمنوا به . وباعمالهم الصالحة يثمرون . وقال ايضاً تشبه ملكوت السماوات الملك صنع عرساً لابنه . وأرسل عبيده يدعوا المدعوين للعرس الى اخره . فاراد بالملك هو الله الآب الضابط الكل . وقوله لابنه اي سيدنا يسوع المسيح . والعرس هو التدبير المخلصي الذي صنعه يسوع المسيح من السياسة والآلام مع الصلب والعروس هي البيعة المقدسة . والمدعين هم جماعة اليهود الاتين . والعبيد هم الانبياء من موسى حتى يوحنا الصابغ وهذه كلها قد كانت وتمت بالكمال بابنه الحبيب الذي اتى لخلاصنا . واما الذين لم يشاؤا ان يأتوا للعرس هم اليهود والعتاة . والعبيد الذي ارسلهم اليهم اخيراً هم التلاميذ القديسون . فتكاسلوا اخيراً وابوا ان يأتوا فكل منهم اعتلّ بعلة شهوانية . والبقية قبضوا على العبيد واستخفّوا بهم وقتلوهم . فغضب الملك وارسل عبيده الى المالك والطرقات وامرهم بان يدعوا كل من يجدوه الى العرس . اي بان يدعوا عباد الاوثان وغيرهم من الامم . واما اولئك القتلة ارسل فقتلهم واحرق مدينتهم بالنار . فلما دخل الملك لينظر المتكئين فرأى العرس قد امتلا من الاخيار والاشرار . فرأى انساناً ليس عليه ثياب العرس. فقال له يا صاح كيف دخلت الى هنا اذ ليس عليك ثياب العرس . فسكت . فأمر ان يربطوا يديه ورجليه

ويلقوه في الظلمة البرانية . حيث البكا وصرير الاسنان . فاراد بهذه الجملة ان كل من يؤمن بسيدنا يسوع المسيح ولا يعمل صالحاً يُربط باطرافه ويُزج في الظلمة البرانية حيث البكا. وصرير الاسنان . لقوله ايضاً موبخاً به لكتبة اليهود وفريسيهم . ويلٌ لكم لانكم تغلقون ملكوت السما امام الناس فلا انتم دخلتم والداخلون اليها منعتم اي ان شعب اليهود الذي لم يؤمنوا بمجيء سيدنا يسوع المسيح ليدخلوا الى عرسه اي ملكوته ولا سيما الكتبة منهم والفريسيين . اوليك الذين لحسدهم وشهواتهم النجسة وحبهم الرياسة اعتلوا بعلل خبيثة وهم يريدوا ان يؤمنوا به . وليس هذا فقط بل انهم لحبثهم ومحبتهم لانفسهم منعوا ذواتهم من الدخول الى الملكوت وبتعليمهم المسموم ان ابيهم الغشوش اي بقية الشعب اليهودي صدّوا من ان يؤمنوا به .

والقسم الثالث الذي دعاه ملكوتاً فعن قيامة سيدنا من بين الاموات لقوله تعالى ان ها هنا قوم من القيام لا يذوقون الموت حتى يرون ابن البشر اتياً في ملكوته . فاعني بقوله هذا ان التلاميذ كان اقصا مرادهم ان يعلموا عن كيفية المجد الذي به يأتي الرب الاتيان الثاني. فاراهم تمجد اسمه ذلك قبل آلامه وصلبه وموته . ليتحقق عندهم بها. مجده وقوله ايضاً انني من الآن لا اشرب من عصير هذه الكرمة حتى اشربها معكم جديداً في ملكوت ابي . فاراد بذلك تحقيق تأنسه حيث حيث انه بعد ما قام من بين الاموات اكل مع تلاميذه ليلا يظنوا انه كان خيالاً . ليس المسيح الاله المتأنس . وايضاً كان ذلك لظن التلاميذ ان ملكوت الله والقيامة العمومية تكون في حين ظنهم اي ظن التلاميذ ان ملكوت الله والقيامة العمومية تكون في حين ظنهم اي ظن التلاميذ ان ملكوت الله في تلك الساعة تظهر وتقوم القيامة. واما قوله العزيز ويملك على بيت يعقوب ولا يكون لملكه انقضا. فاراد بهذا ان بعد قيامته يملك على بيت يعقوب . فعني بتملكه على بيت يعقوب انه بعد قيامته يملك على الذين يؤمنون به وبقيامته المقدسة لقوله واما يسوع من الرامة وكان هذا حسن الراي مهاباً وكان يترجى ملكوت الله الى آخره . فهذا الانسان كان من جملة الذين آمنوا بسيدنا يسوع المسيح وكان يترجى ان بقيامته يخلص شعب اسرائيل . وذلك كان منه خفية من الشعب اليهودي الخبيث لكونهم كانوا

قد خرجوا على انفسهم . ان كل من قال هذا هو يسوع المنتظر ان يفرزوه من من بينهم . وقوله ايضاً اوصانا لابن داود مبارك الآتي باسم الرب اوصانا في العلا . فلفظة اوصانا هي بلغة الرومي . وقرأت باللغة العبرانية هوشعنا ومعناها التسبحة . وتقديره الخلاص لابن داود الخلاص في العلا . اعني ان الذي بقيامته من القبر من القبر يخلصنا .

واما القسم الرابع الذي يُدعى ملكوت هذه هي التي تكون في آخر الزمان اي يوم القيامة تلك التي يرثونها الصديقون مكافأة لاتعابهم . لقوله تعالى ليس كل من يقول لي يا رب يا رب يدخل ملكوت الله . فاراد بهذا ان كثيرون من الغير المؤمنين عرفوا الرب وآمنوا به وتنبأوا باسمه . ولكنهم حادوا اخيراً مثل بلعم وفرعون ونجتنصر وحنان مع قيافا واشالهم . الذي سيقول لهم الرب مع الأراتقة الخالين من استقامة الايمان الكاثوليكي ما اعرفكم قط . اذهبوا عني يا فاعلي الاثم . وقوله ايضاً ان الابرار يضئون في ملكوت ابيهم مثل الشمس . ومن المعلوم ان المؤمنون الحقيقيون الصالحو الاعمال والحافظو ناموس الله الصانعو ارضاه فانهم بالحقيقة يشرقون كالشمس في ملكوت السما . وقوله ايضاً لام ابني زبدي حين اتت مع ابنيها الى سيدنا يسوع المسيح وقالت له قل ان يجلسا ابناي هذان واحد من عن يمينك والآخر من عن شمالك في ملكوتك . اعلم ان طلبة ام ابني زبدي لم تكن منتظرة ولا مرتبة . وتتضمن الكبرياء لان في هذين التلميذين تحركت شهوة الترأس . فلذلك استصحبا معهما امهما لتسأل الرب في ذلك . فاما سيدنا تجد اراد ان يقتلع منهما هذه الشهوة الردية التي هي الكبريا بقوله لهما لم تدريان ما تطلبان . اتقدران تشربا الكاس التي انا مزمع ان اشربها . والصبغة التي اصطبغها تصبغانها . فقالا له نستطيع . فقال لهما اما كاسي فتشربان وبصبغتي تصطبغان . اما جلوسكما من عن يميني ويساري فليس ذلك لي . بل للذين اعد لهم من ابي . فليس ذلك منه عدم استطاعة لانه يؤهلها ذلك . فلا يتوهم هذا احد . لانه تعالى له جميع ما للآب . وما للآب جميعه له وانما اراد بقوله هذا ان ليس ذلك لي بل ما اعده الآب . فاذا كان الاب والابن واحد هو . فصار معلوماً انه عز اسمه لم يقل هذا ان فعل الاب ليس له ايضاً . ولكنه اراد به ان يتشبها به في كل شيء . لكونه

تواضع ولبس صورة العبد وصار في الشبه كالانسان ومات موتاً بالصليب من اجلنا . فاراد تمجد اسمه ان جملة اتباعه يكونوا مثله . ويسقطون عنهم كل فكر متكبر وكل مجد باطل . وفي كل شيء متقفين آثاره وبالنخبة مثله . وكأنه يقول لهم تمثلوا بي كما اني اله وابني اله . اتيتُ بتواضع لابذل نفسي خلاصاً لكثيرين . وقوله كان لإنسان ابنان . فجاء الى الاول وقال له اذهب اليوم يا ابني واعمل في الكرم . فقال ما اريد . وبعد ذلك قدم ومضى . وجاء الى الثاني وقال له مثل ذلك . فاجاب وقال انا امضي يا رب ولم يمضي . فمن منهما فعل ارادة الآب . فقالوا له الاول . فقال لهم يسوع حقاً اقول لكم ان العشارين والزناة يسبقونكم الى الملكوت لانه جاءكم يوحنا بطريق العدل فلم تؤمنوا به . والعشارون والزناة آمنوا . اما انتم رأيتم ذلك . ولم تندموا اخيراً لتؤمنوا بهذا ان الولدان—الشعبين— شعب اليهود وشعب الامم . فاما شعب اليهود الذين قالوا اننا نعمل كل شيء ولم يعملوا . وشعب الامم الذين كانوا لا يعرفون الله . وكانوا يعبدون الخليقة دون الخالق تعالى . وبعد ذلك ندموا وعادوا راجعين الى ابيهم الذي خلقهم وصنعوا ارادته . وقوله ايضاً تشبه ملكوت السماوات عشر عذارا الى آخره . فاراد سيد الكل بتشبيه الملكوت بالعذارا العشر . فالخمس الحكيمات مثال الايمان والرجا والمحبة والصبر والصلح . واما الجاهلات الخمس فهم مثال الطهارة والصوم والنسك والحلم والخشوع . فهؤلاء وان كانوا حاويين مثل هذه الفضايل الا انهم كانوا عديم الرحمة فلهذا جهلوا . واما اخذهن مصابيحهن ولم يأخذن زيتاً في اوعيتهن فاراد بالاوعية الافكار الصالحة والمصابيح هم فضايل روح القدس التي تضي بالاعمال الصالحة التي هي الرحمة . لان الفضايل لا تضي بالاعمال الصالحة التي هي الرحمة . لان الفضايل لا تكمل اذ لم يكن معها رحمة فلهذا قال كونوا رحومين كابيكم السماوي فانه رحوم هو . وقوله ايضاً هلم يا مباركي ابي ارثوا الملك المعدّ لكم من قبل انشا العالم الى اخره اي ان المؤمنون بالايمان الحقيقي من غير شك وارتياب الفاعلون اختياره والحافظون وصاياه فيورثهم الملكوت في يوم القيامة ليتنعموا بها . وقوله ايضاً خير لك ان تدخل الملكوت بعين واحدة من ان يكن عينتان وتدخل نار جهنم . اي ان العين هي اشرف الحواس الخمسة . واليد اليسنى هي اشرف آلات الجسم اعني

اذا كان فيكم انسانا محبوباً كالعين او اليد وتكون مشياته قوية في امضا الشهوات الدنسة . فهو مطفيكم ويهلك بكم في طريق الشر . فليكن مرذولاً وسيدنا له المجد يعلمنا هنا بمثل العين اليمنى واليد اليمنى لكونهما اشرف اعضا الانسان واضرّ ما يكون له هذين العضوين . ويعلمنا بهما انه لواجب علينا ان نلقي عنا كل شيء يأول بنا الى الخطية ولو كان ثميناً وضرورياً ومحبوباً لدينا . وتقديمه تعالى بمثل العين هنا على اليد لكونه اشار اليها قايلاً . كل من نظر الى امرأة ليشتهيها فقد زنى في قلبه . ومن المعلوم ان النظر يتم بالعين وقد يراد بها ايضاً الى كل صاحب او خادم ولان كان نفعهم لنا ضرورياً . ويراد بها ايضاً الانسبا والاقارب. فبمثل هؤلا. يجب قلعهم وقطع معاشرتهم اذا كانوا يجتذبونا الى الخطية ولان كان نفعهم الينا واصلاً . وقد يُراد ايضاً ان العين اليمنى هي العقل وباليد اليمنى يُراد بها الارادة . والعين الشمال هي حسّ الجسد وباليد الشمال هي ميله . والحال انه يجب ان يرتد العقل والارادة عن كل ما يلهي ويضر . ان يكف الميل والجسد عن الشهوات اللحمية . وقد يُراد بالعين اليمنى واليد اليمنى هنا على ظاهرهما وهو الاصحّ . الا انهما اجابهم سيدنا بمنزلة مثل . وتفسيرهما تمثيلي لاتصال المثل هنا بهما. ويشير المسيح به الى شهوة النظر السابق ذكرها لانه تعالى هنا يتلافى اعتراضا مقدرًا كأنه يقول : قد يقول لي قايل اذا كانت العين تجنح بي الى نظر شهواني فالآن ماذا اصنع بها . والحال ان الله اعطانيها لانظر بها . وهذا المثل مأخوذ عن الجراح ايضاً . فكأنه يقول كما ان الجرّاح يهتمّ في قطع الاعضا. الشريفة والضرورية جدًا كالعين اليمنى واليد اليمنى . اذ تعلق بها خلاص الجسد كله . كذلك انا انبهكم يا ايها المومنون بي بانه يجب عليكم بان تقبلوا اية مصيبة كانت ولا ان تقبلوا الخطية والنفاق . لاسيما المميت اي انكم تطرحون عنكم كلما كان عثرة لكم ويجتذبكم الى الخطية . واذا لم يمكنكم الهرب منها بغير طريق فاقطعوا يدكم واقلعوا عينكم لانه خير لكم ان تدخلوا الملكوت بعين واحدة من ان تدخلوا جهنم بعينين . ولكن لمّا امكن التجنب من الخطية بطريق آخر فما جاز قطع الاعضا. فمن ثمّ حين اخصى اوريجانوس نفسه لحفظ الطهارة فحرمته الكنيسة وهكذا وجب على كل احد قطع شهواته واماتتها. ولو كانت مفروسة

في العين والجسد بل في النفس كلها ولذلك لا يمكن استيصالها الا باجتهاد جهد والم لا يوصف . ومن قطعها عنه يتقرب جدًا لتعذيبه وتألمه اذا قلعت عينه او درسه . ولا يعرف الامر الا من قد جرّبه وامتحن به . ولهذا السبب دعي هذا القلع اماتة . من كونه يولد وجعاً كوجع الموت . [×] هذه الاقوال مثل قوله من لا يقبل ملكوت الله مثل صبي لا يدخلها . وقوله قد سر ابيكم ان يعطيكم الملكوت الى اخره . وقوله ايضاً ان ملكوتي ليست من هذا العالم الى آخره . وكما قال حين اخذ الملك ورجع . وهلمّ جرًا مثل هذه الالفاظ .

اعلم يا هذا ها هذه الاربعة الاقسام المدعوة ملكوت . فان اخذتها كلها بمعنى واحد . يفوتك الغرض الذي تقصده لاختلاف المعاني فيها . انتهى .

والان نرجع الى قصدنا ومطلوبنا . اذا قد قررنا لفظة الملكوت التي علمناها سيدنا ان نطلبها . وهي لتأتي ملكوتك اي المعرفة التي هي في القسم الاول . اي لتأتي معرفتك الالهية الينا . فاذا ما طلبناها بروح الايمان النقي فحقاً يمنحناها . كما وهبها لسليمان الحكيم حين استاحها من الله حيث هو في هيكله المقدس قايلًا ربي والهي اعطني معرفة لاتدبر بها وادبر شعبك اسرائيل . فاستجاب الله صلاته . وملأه من روح الحكمة والفهم . شيء ما حصل عليه ولا يحصل لملك آخر لا من قبله ولا من بعده . فاعتبر يا هذا شرف هذه المعرفة . بنا ان الاشياء كلها والامور جميعها تابعة بها . واناس كثير من الكاملين لقبوها بالملكوت وسطروها في مصنفاتهم كاوغريس [Evagre] وغيره من الفاضلين . وليكن عندك محققاً انك ان لم تعرف اختياره ورضاه فلم تستطع ان تفعله . فسيدنا يسوع المسيح لنّا بقلة معرفتنا اختياره ورضاه . سبق فعلمنا ان نطلب من ابينا المعرفة الالهية . لنعرف اختياره فنكمله . وبوساطة هذه المعرفة ترخي عنا جميع المعارف التي تقاومها . ونحن نتدبّر بها تدبيرًا حسناً . واذا عرفنا ما يريد نفعل اختياره ورضاه ونغلب بها جميع مكايد الثلاب . وبها اي بهذه المعرفة يظهر لنا مكر الغشوش وينفضح امامنا ويشتهر خبثه الردي وحيل عدونا ومهازيه تولّى عنا . فارّة منا ومطرودة امامنا كما ينطرد الظلام من امام النور . وجميع افعاله المغشوشة تتلاشى وتضمحل كما يضمحلّ الشمع من قدام النار . فيا لشرف هذه المعرفة الروحانية ما اعلى سلطانيا من حيث اتنا بها

تسلطنا على جميع اعدائنا الغير المنظورين الذين ياذوننا وبها نتسلط على كل شيء الموافق لنا والغير موافقنا . يا لهذا السلاح القوي التي اعطاناه ابونا لنتسلح بها امام اعدانا كما هو لايق بابناء الملك السماوي . وان اهملنا نحن هذا السلاح فيتغيّر ابونا بتركنا سلاحه . الذي هو سلحنا به . فاذا ما شعروا اعدانا بنا باننا خالين من آلة قتاله المنيع التي هي المعرفة الروحانية والفضايل الكاملة يتسلطوا علينا ويقهرونا . واذا ما قهرونا البسونا سلاحهم . الذي هو الحيل والمكر وخبث الغاشين . فنتدبّر بهم الى حين الممات واخيرًا يبطلون ويضمحلون كما يضمحل نسيج العنكبوت . ومن ادنى ريح يهب فيتلاشا مضمحلًا كما قيل ان الحيل [××] المكره لا يثبتون امام الرب . عاد بالضرورة الواجبة . ومن يابى اللياقة اللازمة الا تتاهل ونتوانا في طلب هذه المعرفة . من حيث لها كذا منافع وبوساطتها نملك هكذا سلطان فلا نملّ من استماحنا اياها . لكي ابينا السماوي ينحناها ولا يجب لنا ان نطلب منه شيء آخر ما عداها . وان طلبنا منه شيء فلا يسرّ بنا ابونا . لكون طلبنا القليل وتركنا الكثير . فهو عدم نظام لاننا اذا طلبنا هذه المعرفة الروحانية . ننال الخيرات الزمنية التي هي الواسطة العظيمة لنيلنا الخلاص الابدي . لان بوساطة هذه المعرفة نصنع ما يرضي ابونا السماوي. واذا صنعنا رضاه وفعلنا اختياره فهو ايضاً يغفر خطايانا ويعفو عن ذللنا ويصفح عن نقايصنا. ولا يذكر لنا هفواتنا ويهبنا الخلاص الابدي. وان طلبنا ما عداها فتكون طلبنا الغير النافع لنا وربما يكون مضرًا لنا . والنافع لنا تركناه ذلك الذي يختص لخلاص نفسنا . ولان النفس تحتاج الى نعمة الله اكثر من احتياج الجسد الى القوت . لان اعداء النفس يكادوا الا يحصوا لكثرتهم . فلهذا تحتاج الى المعرفة الالهية . لتتنوّر بها . وبوساطتها تُعان من الاب السماوي لتقاوم اعدائها . لكون الاعداء يفاجونها ظاهرًا وباطناً . فحينئذ هي محتاجة لمعونة ابيها.

اناشدكم الله يا ايها الشعب المسيحي ان لا تخالفوا تعليم ربنا ومخلصنا يسوع المسيح . وتخونوا ذواتكم لكون مطمنا الالهي يعلم بضعفنا وقصر همتنا وقلة استطاعتنا عن محاربتنا اعدائنا . لكونهم اعدا قساة مرّين ليس فيهم شفقة علينا . لكوننا نروم ان نرث مرتبتهم ونملك مكانهم ذلك الذي هو عالي عن

العقول البشرية . وناهيك يا اخي القربى الى العظمة الالهيـة . فكيف يا اخي يسوغ بعقلك ان تملك مكاناً ليس لك . بل انه كان لأناس اقوى منك قدرة وسلطة . بغير اعانة اناس ذوي قوة واقتدار . بالأقل تضاهي قوة مالكيته بل وازيد من اقتدارهم والى كم من الاتعاب والمعـاناة تكابد وتصرف عنايتك بجملتها على من يحميك باعانته لتملك ذلك المكان . وبعد هذا العنا الشديد ايضاً امتلاكك اياه ليس هو معلوماً بل تحت الريب والشك . فاذا كان هذا لازماً بالتصرف العالمي الزايل هكذا ممتنع ان يكون . فما ظنك بذلك المكان الشريف البهيج الذي يعلو فرحه ومجده علوًا غير متناهي بهذا المقدار . حتى انه رب المجد والعظمة العالية لمحبته فيك يا ايهـا الانسان تنازل عن علوّ شأنه . ورضي لذاته الشريفة ان يحجب اقنومه الالهي بصورتك كقول الرسول وكابد اتعاب واحتمل شدايدًا وعانا امورًا شاقة وصابر آلاماً مبرحة وجاهد جهادًا غير مطاق . حتى انه يجاهده هذا الذي تقصر عن مكابدته جميع الأبطال الباسلين في المعارك . وجملة تغني عن التفصيل مات مصلوباً مفرقاً بدمه الكريم . ولا حاجة لان اصف لك لان هذا شيء معلوماً عندك . ان دم السيد بل دم الاله نفسه ليس هو كدم العبد . بل تبعد موازاته بعدًا غير متناهي . حتى انه احماك وانقذك وخلصك وورثك ذاك المقام السعيد . وتلك المرتبة العالية الشريفة ولعله تعالى بضعتك وقصر قوتك عن مثل هذه المجاهدة . ومن محبته فيك منحك تعليماً شريفاً خفيفاً لطيفاً هيناً سهلاً . لان دائماً تتهجا به وتتلوه من كل قلبك على المدا . وتطلب من ابيك السماوي ان يمنحك ملكوته اي معرفته الالهية لتتدرب فيها ويعينك في جهادك ويخلصك من قتاله . لان يا اخي قتالنا ليس هو مع ذوي لحم ودم بل هو مع الروسا . وسلاطين الظلمة كقول الرسول : فاذا كان حربنا مع هكذا اعدا مرّين افما نطلب من ابينا السماوي ان يعيننا حتى النفس الاخير على قتالنا معهم . لان طلبتنا من ابينا هذا ليس انه يعيننا في حربنا فقط . بل انه بهذه الطلبة يزيد في نمونا الروحي اذا طلبناها لمجد اسمه الاعظم . ولمطابقة ارادته الالهية . وطلبنا هذا منه يكون بتذلل وخشوع ابني لكي بهذا نستعطفه لان يحنوا علينا . كابن موثوق لابيه يستغيثه ان يمنحه ابوه مـا يرضاه فليفعله . فيبتدي ابوه في ان يدربه شيئاً فشيئاً بالذي يختاره ان يفعل ابنه .

فمن ثمّ يتعلم الابن رويداً رويداً لان يصنع ما يختاره ابيه بالكمال . فحين يراه اباه ان ابنه فاعل كارادته في كل شيء ودون اختياره لا يفعل شيء. فحينئذ يأتمنه على جميع ماله . ونحن ايضاً نكون كذلك . ان لا نفعل شيء يضاد ارادة ابينا السماوي . لكي اذا رآنا فاعلين مشيته واختياره ورضاه مداومين طلبنا هذا اليه باتضاع وخشوع . في انه هو يدربنا ويدبرنا ويعلمنا ويرينا معرفة جميع ما يضرنا ويؤذينا لنبتعد عنه . ويثقفنا كاختياره بالذي يصلح لنا وينفعنا لنكمل رضاه في كل شيء. فيلزم انه يتحنا الخلاص بواسطة معرفته الذي يتحناها . وبعدما علمنا ان نطلب ملكوته اي معرفته ان نأتي لمولنا علمنا بقوله لتكن مشيتك كما في السماء .

فانظر يا اخي كيف يعلمنا معلمنا الالهي سيدنا يسوع المسيح كيف انه يريد منا ان نكمل مشية الآب اي اختياره الذي اختاره في السما على الارض فلا عاد يجب لنا ان نفعل شيء ما ضد ما شاء به ابونا في السما ورضي ان نفعله نحن على الارض . بل دائماً يكون فعلنا ارادة ابونا في السماء . ففي الارض نتممه ومن لم يفعله لن تشابه نفسي يقول الرب فوجب علينا اذاً الا يكون لنا ارادة دون ارادة ابينا السماوي جلّ وعلا . اعلم يا هذا انه بمقدار ما تكون ارادته فينا كاملة بمقدار ذلك تنتشر معرفته فينا . اي بمقدار ما نكون فاعلين اختياره الذي شاء به في السما. وعلى الارض مكملية . بمقدار ذلك تنتشر ملكوته فينا. اي معرفته الالهية لمساعدتنا وبذلك يخضع الكثيرون له بارادتهم من كونه لا يوجد [×] لله تعالى الاعظم ولا ملكوت اي معرفة اوسع من ان كل شيء يخضع لاختياره اي مشيته. وانما في الكل تكمل .

ومشيئة الله على نوعين احدهما مشية الرضا وتدعى المطلقة وبها يريد الله على الاطلاق ان يتم كلما يريده .

(له صلة)

حجج فلسفية تدعم نظرية النشوء

بقلم الاب فيلكس سوانيون اليسوعي

ما طال الامر على نظرية النشوء والارتقاء التي طُرحت علمياً في القرن التاسع عشر حتى انقلب الى مشادّة فقد ارتكب مناصرو هذه النظرية الجديدة ضروب التطرف التي احدثت ردّات فعل لا تقل في عنفها عن شطط تطرّفهم ، فانهم قد حوّلوا الاحتمالات الى يقين بواسطة ادماج بعض اضافات بالموضوع وهي لا تمتّ اليه بصلة وبواسطة تعليلات واهنة لا ترتكز الّا على تصورات ضيقة الاستناد المنطقي زاعمين انهم اوجدوا تفسيراً لاصل المخلوقات شاملاً حاسماً ، ولم يكن شططهم من الوجهة المتافيزيقية الّا اشدّ خطراً لزعمهم اطراح كل غائية من تفسيرهم ، فظن بعض انصار نظرية داروين وحتى داروين نفسه انهم قد عثروا في مذهب النشوء والارتقاء على برهان يؤكد ان ليس ثمة لا خلق ولا خالق .

واذ شعر المعارضون برهن براهينهم واذ ارتضوا بدون بحث بمعارضة نظرية النشوء والارتقاء للخلق وكان من بينهم علماء حقيقيون ككوفيه (Cuvier) وكلود برنار (Claude Bernard) وباستور (Pasteur) ردّوا اقوالهم بجملتها .

اما اليوم فالعلماء المؤمنون وغير المؤمنين فهم اشدّ حكمة واللاهوتيون اقلّ تعصباً . وعلى كل فاننا نرى انه لو رددنا النظرية العلمية والعقيدة الايمانية الى حدودها الحقيقية لما رجدنا بينهما تناقضاً .

ان الفلسفة نفسها لعلى اتصال مستمرّ بالعلم التجريبي ، فهي تفتش وراء التفسير الظاهري عن نواميس المادة والحياة والفكر وليس بمقدور التقدم الجديد في العلم ان يزعزع ما هو وطيد في مذاهبها واغا على العكس من ذلك فانه اذا ما حمل اليها عناصر موضوع جديدة يمكنها من الاتيان بتركيب افضل .

أفهذا هو الوضع في نظرية النشوء والارتقاء ؟ فلنتدبر الامر في محور نظريتها التي لم تبقَ موضوع بحث الآن : لقد كان للحياة تطور على الارض ، فالاشكال المتتابعة التي اوضحتها دراسات المستحاثات لم تتعاقب فحسب ولكنها قد تناسلت ، فكان التقدم في مجموعها من الاشكال ذات المظهر الفسائلي واحياناً

ذات المظهر الشائك تقدماً تدريجيا وعلى الخصوص في الاعصار الوسطى : قال لكونت دونوي (Lecomte de Noüy) في كتابه : «الانسان ومصيره» ص ١٨٠ «لقد جرت الامور منذ ولادة الخلية الاصلية كما لو كان الانسان هو المقصود.»

وهل يناقض مذهب النشوء والارتقاء مبادئ علم ما وراء الطبيعة للقديس توما ؟ في سبيل البتّ في هذا الامر لا بد لنا من دون ان نتعجّل مقارنة نظرية مذهب النشوء والارتقاء بهذه المبادئ .

وهذه الدراسة قد تصدّت لها المجلة المدعوة « المجلة اللاهوتية الجديدة » سنة ١٩٣٢ ص٥٧٧ وما يليها ، وانه ليتضح للقارئ على ما اعتقد ان ما سأجيء به ليس ترداداً لما قيل في تلك المجلة .

ولندع جانباً بادئ ذي بدء ذريعة راوية لا طائل تحتها، فلا سبيل للانكار ان القديس توما هو من القائلين بخلق الموجودات كاملة وذلك بالنظر الى تعليمه الصريح ، فقد قال في موجزه اللاهوتي « انه من المحتمل جد الاحتمال ان يكون البدر قد صُنع كاملاً وان تكون النباتات (منذ خلقها) في حالة اكتمالها في اثناء اتخاذها جرمها وكذلك بقيّة الحيوانات والانسان. (1re partie de la Somme. question 70. article 2, 3me réponse)

واكد نفس التأكيد في موضع آخر 1re « v.g. 1re, question 90, art. 4 ; de la seconde. q.5,a.7, 2me réponse. »

وهو مع ذلك يسلم بظهور انواع جديدة على مجرى الاجيال من جراء تأثير الاجرام السماوية (1a,q.73,a. 1,ad 3 um) ولقد جاء في قول له سابق (2 dist. 12.q.1.a.2) ما حملنا على رؤيته مترددًا اولًا بين القديس اوغسطينوس وغيره من آباء الكنيسة حول تفسير سفر التكوين .

وفضلًا عن هذا فان القديس توما لم يحارب اساساً مذهب النشوء والارتقاء الذي كان بسيط العناصر عند الاقدمين ، ففي عهده كانت محاربته قد انقطعت ولم تكن قضيته موضوع بحث .

لقد بقي علينا ان نعرف : هل اضطرته مبادىء فلسفته الى تبني المذهب القائل ان الموجودات كان خلقها كاملًا ؟ ام على العكس من ذلك هل كانت مبادئه وليدة الاختبار الدقيق جدّ الدقة لكي لا تقوى حقيقة علمية جديدة مفروض

بالبرهان نبوتها الا على تأكيد هذه المبادئ. وايجاد ما يثبتها فيها اثباتاً صحيحاً.

اما مبادئ ما وراء الطبيعة التي يبدو تأثيرها في مذهب النشوء والارتقاء فهي التالية : التقدم الشامل ، الغائية والمقدرة الفعلية الموجهة في وجهة معينة الشاملتان ، السببية الشاملة ، وفي المعنى المخالف على ما يبدو ، عدم تغير الشكل.

١ – التقدم الشامل

التقدم هو سنة الكون ، ولا شك في ان الاكثر لا يخرج من الاقل وان غير التام لا يفسره الا التام في سياق السببية الفاعلة والغائية ، واذا لم نأخذ بعين الاعتبار الا المبادئ الباطنية فالطبيعة تسير من غير التام الى التام لان الاسباب لا تحدث من المرة الاولى مفعولها (١) ، هذا هو ناموس التحولات الخاصة.

والطبيعة في مجموعها تبدو متبعة سيراً مماثلاً لهذا السير اما الخلق فقد كان بالتدرج لا لكون الصانع الالهي كان بحاجة الى ان يعمل على مراحل بالتدرج ولكنه اراد ان يحقق نظاماً ما وجمالاً ما (٢) .

ومن الواجب ان يكون تصور جميع الطبيعة وليس الحياة وحدها على شاكلة التصعيد ، فالمادة الاولى هي بالقدرة لكل شيء. وانما في سياق تقدمي(٣) ، فان العمل الانساني يسير وفق الناموس التقدمي كالعلم النظري والعملي مثلاً .
(Cf. IaIIae,q.9,7,a.1 ; et De Veritate, XIV.10)

ولقد كان الوحي الغائق للطبيعة بصورة تقدمية من الوجهة الانسانية .
(Cf. Ia,q.57,a.3 ad 3um ; et IIa IIae,q.1,a.7)

ومذهب النشوء والارتقاء هو خير تطبيق لهذا المبدإ للتقدم الشامل ويسير التناسل مثل كل حلقة من حلقاته نحو كماله ، وفوق تطور كل تناسل خصوصي يتكدس تطور المجموع ، والحياة بمجموعها هي ارتقاء نحو مثل اعلى لم يتأت بلوغه قط وانما هو الهدف الذي يرمى اليه دائماً .

وليس شيء من هذا كله في المذهب القائل بان الموجودات قد خلقت تامة وانما من الواجب القول ان كل فرد يتطور نحو مثاله النوعي ما عدا الفرد الاول الذي كان افتتاح سلسلته به ، فهذا الفرد كان لا بد له من ان يكون المثال الاول ولن لا يتقيد بناموس التقدم التطوري الفردي .

٢ - الغائية والقدرة الفعلية الموجهة في وحدة معيّنة الشاملتان

ليس الكائن مندفعاً من الخارج فقط في سيره نحو كماله مثل متحرك جامد ، فان الله قد جعل فيه مبدأ حركته ولو على الاقلّ جزئياً ، فالقدرة التي ندعوها قدرة منفعلة ليست امكانية بسيطة وقابلية لا ابالية فهي قدرة فعلية وتوق . ان الفعل هو غاية فالمادة تنزع الى الشكل نزوعاً غامضاً على شاكلة الانثى والذكر(٤) فكل شيء يتوق الى الارتفاع نحو الله .

ان توقان المخلوقات وإنْ مادّية وانّ ارتفاعها هذين نحو مبدإها فلماً يعرفه بعض السكولاستيكيين المعاصرين .

اذًا ما هو مذهب النشوء والارتقاء الغائيّ ؟ لان المراد هو ما يأتي : « ان نظرية التطوّر لا تصبح معقولة الّا عندما تضمّ تفسيراً غائياً الى تفسيرها الآلي الرائج»(٥)،الا وهو توقان المادّة العظيم الى الروح عبر جميع المراحل الوسيطة وهو مجهود الحياة المستمرّ للوصول بمساعدة السبب الاول لاحداث الانسان الغاية في الكمال الذي بمقدوره اقام هذا الصعود الى ما وراء المحسوس .

وفي المذهب القائل ان الموجودات قد خلقت كاملة فلا ينكرون هذا الاشتياق كل الانكار ولكنه يظلّ بدون طائل في كل كائن خاص ولا يحصل على مفعوله الّا خارجاً عن ذاته وبدونها بواسطة تكرار امور يمدّ بعضها مدّ بعض ، وليس فيه سير نحو المثل الاعلى وانما هو الفكر الانساني الذي يمدّ حركة النظر المستمرة على المشاهد المتعاقبة غير المتحركة على شاكلة رؤية العين لمتناظر السينما وذلك وفقاً لما رسمه الباري.

٣ - السببية الشاملة

يحقق الله مقاصده على الارض بالتعاون مع مخلوقاته لا عن عجز منه بل عن جودة ، ولا يقلل هذا شيئا من نطاق عمله فهو يصنع ما يأمر الاسباب الثانوية بصنعه بوصفه العامل الرئيسي، وان ما ننسبه الى المخلوقات ليس مقصياً عن الخالق وعلى العكس فان ما نقصي المخلوقات عنه فالله مقصيّ عنه (٦) وان كل جوهر هو مركز اشعاع على شاكلة الله الذي يأخذ بدوره ويعطي كل ما هو كائن وحتى ما وراء الكائن لانه يساعد الغير على الصعود الى ارفع ، فالكون وحيد بالسببية

والغائية الشاملتين اكثر بكثير مما هو وحيد بالمادة المشتركة وتسلل درجات الاشكال (٧) . وعبثاً اكدوا مبدأ الوحدة العامة فانه من الصعب رؤية تحقيق هذا المبدأ في المذهب القائل ان الموجودات قد خلقت كاملة سوية ، وليست هذه الوحدة على كل حال وحدة عضوية ضمنية فهي مفروضة من الخارج على شاكلة الوحدة التي يفرضها الفنان الانساني على مواده وهي في احدى النواحي ابعث على العجب ، أفهي لذلك اجمل من قبل واهل لله ؟

وعندما نقول ان الفرد الاول من احد الانواع قد خلقه الله بدون مساعدة الاسباب الثانوية فتلك عدة معجزات نفرضها على الايمان ، لاننا نفرض عليه بذلك عدة ظاهرات لا سابقات طبيعية لها . اما في الانواع الدنيا فالفرد الاول هو بذرة ، اما الحيوانات اللبونة الاولى فلا بد للنوع من ان يبدأ فيها بولد بالغ لان صغيرها لا يستطيع ان يعولَ نفسه بنفسه وبالاحرى لا بدّ له من ان يبتدئ بفردين اثنين ، وبما ان الحياة حركة مستمرة فينبغي لهذين الفردين الاولين ان يكونا مخلوقين في وسط الحركة الكاملة وبانسجام كل اجزائها مع ايقاع الدم في دورانه ، دم العروق في احد البطنين والدم المشبع بالاوكسيجين في البطين الثاني وبانسجام كل اجزائها مع التيارات العصبية في جميع نقاط مراحلها ومع الاغدية في كل دورات تمثلها وعدمه ومع غائض فضلاتها في طريقه الى الخارج البغ ولا بدّ له ايضاً من غرائز لا الغريزة الفطرية الغير واضحة فحسب بل الغرائز التي نمت نمواً يماشي سنّ رشده مما يفرض عادة الخبرة والذاكرة . . .

وبالطبع ليست هذه الامور مستحيلة غير ان الاحتمال المتافيزيقي ليس برهاناً ، فلو قيل ان الباري قد خلق مدينة في صحراء خالية من السكان خلقها من الفها الى يائها وجهزها بتنافيها وجعل لها مطابخها وآنية طعامها وفارها المشتعلة وانضج وجبة الطعام من البيض نصف نضج . . . فانا لا استطيع القول ان هذا مستحيل من الوجهة المتافيزيقية ولكن . . .

أو لم يميّز اللاهوتيون في الله قدرتين ؟ (Absoluta et ordinata).

ان معلومات ارسطو والقديس توما في علم الحياة لم تكن تتعدى الخبرة الدارجة في ايامها ، فانهما لم يكونا يعرفان عن تركيب مجموعة الاعضاء الحيوانية الا الامور الظاهرة فبدا لهما ان خلق بالغ مباشراً لهو امر سهل .

ج – عدم تغير الشكل

التبديل بحد ذاته يفرض لنفسه قاعدة ضمنية ثابتة ، فان الاعداد لا تتبدل اما زيادة وحدة فينتج عددًا اخر يحل محلّ الاول ، فكذلك هي الحال مع الاشكال ، فالشكل الاعلى العارض يحتوي تمام الشكل الاسبق له احتواء كليًا بيد انه من نوع آخر (٨) .

وباستطاعتنا الوقوف عند هذه النقطة وان نسلم بان انتقال الحياة من ذرّية الى ذرّية اما انه يتم في نفس النوع او انه اذا كان ثمة تقدم فان هذا التقدم ينقل النسل الى نوع آخر ، ان القديس توما يعرف الاسباب التي لا تورث مثيلًا لها ولكنه يعلم ان الفرد نفسه بتقدوره ان يتخذ اشكالًا مختلفة على التعاقب كالجنين الانساني مثلًا فهو في شكل نباتي اولًا ومن ثم حيواني ومن ثم انساني . (Cf. C. G. III, c. 22)

وثمة امور اكثر من هذه ايضاً : ان الشكل النوعي ذاته قد يشترك فيه افراد مختلفون من النوع نفسه اشتراكاً متفاوتاً ، واخيرًا يستطيع الفرد في غضون وجوده ان يساهم مساهمة متفاوتة في شكله اعني بالازدياد فيه ازديادًا مطردًا ، وذلك واضح في الاشكال العارضة كالبياض والحرارة ، ويبدو انه من الواجب التسليم بهذا الامر للشكل الجوهري (٩).

وفي سبيل ادخال التطور النشوئي ضمن نطاق المبدإ الفلسفي القائل ان للاجسام مبدأين متميزين يتمّ احدهما ثانيها اي المادة والشكل امامنا ان نختار بين حلول عدة : هي اما وجود عدة اشكال نوعية متباينة تتعاقب في تحدّرها من نوع واحد واما وجود شكل وحيد ينطبق على تحدر نسل واحد محدود الوضع الزمني (هذا ما نسميه اصل الانواع) وينظم شيئاً فشيئاً مادته سائرًا بها نحو مثالها التام بما يحققه من سلسلة اعمال متعاقبة ، وان كل فرد يساهم بهذا الشكل المثالي مساهمة تتراوح زيادة ونقصاناً تجعل من هذه السلسلة كائناً حقيقيًا وفردا فوق الفرد .

وليس هذا المفهوم من المفاهيم المألوفة لدينا فنحن لا نعرف سوى نوعين من الكائنات : (l'ens per se et l'ens per accidens) بيد ان تمييزنا هذا لا

يوضح لنا غنى الطبيعة ، واننا نقع على مبدإ لدى القديس توما يخولنا تحديد هذا الغنى عن كثب ، ان الكائن والوحدة يسيران جنباً لجنب وبنفس التساوق في الدرجات ، فهناك سلسلة وحدات مرتبة بحسب تدرجها الطبيعي (١٠) ، فان للعمل الاصطناعي والفني وحدة واقعية كالخلية والعائلة والامة والنوع فاذا هي موجودات او كائنات ومن الناحية الاخرى ان العضو والخلية وادق جزء صغرا والذرة لها وحدة حقيقية وهي كائنات ، اما النوع-فليس واقعاً موجوداً فحسب ولكنه الواقع الحيوي المنظم كما يقول القديس توما (١١) .

ونظرية النشوء والارتقاء هي مفهوم روحي واجتماعي بجوهرها للعالم الحي، أوَ ليس ثمّ مذهب ديكارت الاناني ونسيان تعاليم القديس توما الحقيقية وسيرها القوي الاجتماعي يجعل من هذه النظرية فزّاعة لبعض المسيحيين ؟

وكان القديس توما اذا صادف امراً بدا له انه يناقض مذهبه الفلسفي لا ينكره واذا ظهرت له صحته سعى الى تفسيره وعند الحاجة الى تلطيف مذهبه : اهناك توالد عفويّ في الطبيعة، ولتفسره الاجرام السماوية لتسلم المبادئ ، وانه لم يكن يتردد عن وضع « مقاصد » روحية في الحاجز الشفّاف ليفسّر الرؤيا ، ولم يكن يعلم بان اسمى ميزة قدرة الخلق الفاعلة هي في كوكبنا الثرّ : محور الكون ، لا في النجوم النائية ليس من حيث وجهة نظر الكم ولكن من وجهة نظر الغائية والقيمة كما اوضح ذلك خير ايضاح الاب تيلهارد دوشاردين (Teilhard de Chardin) في مجلة Études ١٩٤٦ ص ١٤٥ وما يلي :

وفسّر الاب بريسبوا (Brishois) في المجلة اللاهوتية الجديدة لسنة ١٩٣٢ وفي الصفحة ٥٩٢ على صورة اخرى انتقال نوع « متافيزيقي » الى نوع اخر بالاستناد الى قدرة « الامتثال » التي ينقلها الله بشكل غير اعتيادي من القدرة الى الفعل ، لكن تفسيره هذا ليس تفسيراً فلسفياً لانه يناقض لاحد المبادئ التي وضعها القديس توما القائل : « ان القدرة المنفعلة الطبيعية تقابلها قدرة فاعلية طبيعية » (Supplément de la 3me. q. 75, a.3) فعندما لا تكون القدرة الا امتثالية فالحادث لا يكون من السياق الطبيعي والمثل على ذلك : « ان للعالم القائم قدرة امتثالية الى ارتفاعه المقبل (بعد يوم الدين) بيد ان هذا الميل ليس من سياق طبيعي (Ibid. q.91,a.1,3me et 4me réponses) وقال في محل

آخر » ان تكوين الموجودات الطبيعية لا ينبغي قدرها بحسب القدرة الالهية ولكن بحسب ما تقتضيه طبيعة هذه الموجودات (I^re q. 75,a,5,1^m, réponse) .

ومثة اعتراضات على نظرية النشو. والارتقا. لا تمتّ الى الفكرة الفلسفية وانما الى العاطفية يكفي لردّها القليل من حسن الذوق الذي يخالطه شيء من معنى الجمال. الانسان متحدر عن حيوان: يا له من هول .

وليس التحدر كما يؤخذ من كلمة التحدار بل هو ارتقا. ٢ ان الانسان حيوان بكل ما في الكلمة من قوة وان كان من نوع لوحده ، اما العقل فيجعله في مصاف نوع لا يعدله مصاف ولا تحول دونه ودون تقيّده بالنواميس الحيوانية كما يتقيد بناموس الثقل وليست حيوانيته حائلاً دون روحانيته الخاصة به وانما هي عمادها ، اما نظرية النشو. والارتقا. فلن تبلغ الكامل الاتمّ الا متى انتهت بالانسان . افليس اقرب الى الصحة ان تأتي شجرة الحياة العظيمة بعد هذا الارتقا. نحو الحيوانية الكاملة بزهرتها وثمرتها؟ وان يتوقف مجهود الطبيعة امام طرفة الطرائف؟ وان يدع الباري جانباً بعد ان اعدّ الانسان جميع هذه الاعداد وان يرفض في الدقيقة الاخيرة التعاون مع مخلوقاته الدنيا ؟ . . . اهناك مقصد خاص؟ وهل المقصد اقل اختصاصاً والحب اقلّ ظهوراً اذا كان اعداد فعلي طوال مليار من السنين قد سبق النوع الانساني ؟ ليس لخير ما فينا من اجداد واسلاف في الطبيعة المحسوسة: انه نفحة الاله ، واي طائل نراه في ان يكون جسم آدم قد خرج مباشرة من التراب ؟ فانا افضّل ان اتعلّق بارض امي بوساطة طبيعة حية اهناك ، وفي كلتا الحالتين ان عمل الله هو مباشر (Cf. S. Thomas, IIIa, q.6, a1, ad 1um) واوقع في النفس في الثانية وان مجدها لم ينتقص بشيء. (١٢) .

ولما صنع الله ادنى انواع الحيوان في قربها من النبات كان يفكر فينا ، وعندما جعل الشطئان البارزة حافلة بالزحافات وعندما اتقن صنع الحيوانات الملبونة وعندما نقّف قامة ارقى الحيوانات . في سلّم الحيوانية كان يعدّ جهاز الروح وهو يفكر فينا ايضاً .

وفي يوم من ابهى الايام . . . وعلى انتظار الذي سيرى الانسان الاله على ارضنا الصغيرة (minima ex principibus) استقبلت مجموعة اعضاء نامية

من صانع الحيوان الالهي اخر عمل صاغه باصابعه استقبلت الضيف المنتظر الا وهي النفس الخالدة على مثال الله .

لقد كانت شعلة جديدة تشعّ في عينين من اللحم وكانت علّة الطبيعة قد شفيت وكان حب الكائنات الغامض للخالق يجد صوتاً وقلباً فاستطاع آدم ان يدوّي لنفسه ولجميع العالم الذي كان ملكه البكر انشودة العبادة :

باركي الربّ ايتها الحيتان وجميع ما يتحرّك في المياه .

باركي الربّ يا جميع طيور السماء .

باركي الرب يا جميع الوحوش والبهائم .

(دانيال ٣/٧٩-٨١)

المراجع والنصوص

١ — ما من شيء ينتقل من حال النقصان الى حال الكمال الّا بفعل صانع كامل، وفعل هذا الكامل لا يأخذه الناقص كاملاً من البداية، وانما يأخذه في الاول ناقصاً ومن ثم كاملاً (De la Vérité, XIV, 10) . ان الطبيعة تسير من الناقص الى التام (1re Partie de la Somme, question 101, article 2.) ما من شيء يصل الى كماله منذ البدء وانما على مراحل متعاقبة (1re de la seconde partie, question 106, article. 3.) في سياق السبب المادّي يتقدم النقصان ، وبحسب وجهة النظر هذه تسير الطبيعة من الناقص الى التام (2de de la seconde partie,question 1, art. 1, réponse 3me.)

٢ — لو وقفنا في الانتباه يتضح ان اختلاف الامور يشتمل على بعض الترتيب في الدرجات (3me livre Contre les Gentils. Ch. 97, paragraphe 2.) ان الطبيعة تنتقل من طرف الى طرف عن سبيل التوسطات . فلذلك يقوم بين الحيوانات البرية والحيوانات المائية نماذج متوسطة تتصل بها كليها (1re, question 71, article unique, 4me réponse) ان الخلق كان متعاقباً لا عن عجز بل عن قصد من الحكمة الالهية التي ارادت ان تتبع نظاماً ما وان تسير من الناقص الى التام (1re, qu. 74. a. 2, 4me réponse)

٣ — المادة الاولى هي في القدرة لشكل العنصر وهذه المادة المحتوية في

العنصر هي في القـدرة لشكل المختلط . وفي المختلط هي بالقدرة للشكل النباتي ، والنفس النباتية بالقدرة للحسية والحسية للعقليـة والى هذا الشكل الاخير تميل كل المادة (3me L. Contre les Gentils ch. 22) .

Cf. In Metaph. L. VIII (IX) c. 8,I°,14 — Et Cf. supra III C.G. — ٤
الشكل هو قـدرة موجهة .c. 22 ; cf. IV C.G.c.19 ; I°,q.80,a.1 ; II° II°, q.23,a.2.

Cf. Cahiers de philosophie de la nature - transformisme, 1927. — ٥
ولقد كتب المقدمة خمـة مؤلفين: كوينو ، دلبيز ، كانيين ، تومبسون ، فيالتون.

٦ — في نظام تـاوق الدرجات العام تتصل المخلوقات العليا بالجودة الالهية فلا تصير صالحة بذاتها فحسب بل لتصل هذه الجودة لغيرها ايضاً (De la Verité, V,8, La Providence se sert d'intermédiaires) وتبلغ كرامة العامل ذاتها الى مخلوقاتها (1re, q. 22, a. 3) ان ما نتزعه من كمال المخلوقات فاننا نتزعـه من كمال القدرة الالهيـة (3me Contre les Gentils, ch. 69) وان خير كائن يصبح الخير العام لجماعة اذا انتقل بعمل هذه الكائنات نفسها من بعضهم الى بعض (ibid) . وانها لنتيجة عمل الجودة الالهية ان تحفظ الامور وتديرها لا بالعمل مباشرة بذاتها وانما بجعلها المخلوقات تعمل (ibid. ch. 135) (٧)

٧ — كلّ شيء كوّن لغيره — In Metaph. L. XI (XII) c. 10,I°,9 :
Cf. I°,q.15,a.2 ; q.47,a.3 ; q.48,a.1, ad 5um ; Comp. Theol. Ie pars, c. 149 ; I.C.G. c. 70.

٨ — ما من شكل جوهري قابل لاكثر من هذا او اقل ، غير ان ثمـة كمالاً اعظم ينتقل الى نوع جديد كما ينتقل جمع وحدة الى عدد عدداً جـديداً مختلفاً . . . اذا تلقى مركب شكلاً اكملَ فالشكل الاول قد انتسخ امـا الشكل الجديد فله كل كمـال الشكل الاسبق مع المزيد عليه وعلى هذه الشاكلة يصل المركب الى شكله الجوهري الاخير عن طريق التوالد وضروب الانحلال المتعاقبة . وهذه هي حال الانسان وحال المجموعة العضوية المتأتية عن انحلال الاجسام بعد الموت (1re, q. 118, a. 2, 2me réponse).

٩ — متى كان اتخاذ شكل جوهري بصورة ناقصة وليس بجميع كمـاله ،

فالصفة الناجمة عنه عند من اتخذه ليست مستمرة استمرارًا مطلقًا. (1re, q. 67, a. 3,1re réponse)

١٠ — ان الوحدة هي مقياس الكائن وعلى العكس (QuodlibetumVI,I) والكائن والوحدة هما خاصتا الجوهر المتعادلتان (1re, q. 76, a. 7)

١١ — الطبيعة امام نظرها النوع ، لا الفرد ولا الجنس لان الشكل (النوعي) هو غاية عملها والمادة (الفردية او الجنسية) هي لاجل الشكل (1re, q. 85. a. 3, 4me réponse) ان ما هو جوهري في قصد الطبيعة على ما يبدو هو ما كان مستمرًا ودائمًا. اما ما هو موقوت فقط فلا يبدو انه هدف الطبيعة الرئيسي فهو كواسطة بسيطة. ولما كان في العالم المنحلّ النوع وحده هو الذي يبقى دائمًا فلذلك كان خير النوع الغاية الرئيسية التي ترمي اليها الطبيعة (1re, q. 98, a. 1.) ان الانواع هي المراد لاجل ذاتها اما الافراد فلا يراد بهم الا كوسائل لتمديد بقاء النوع (De la Verité, V. 3.).

١٢ — ان اتمام عمل يحمل عاملين اخرين على صنعه بدلًا من فعله بالنفس ليس هو علامة ضعف ولكن علامة قدرة عليا (3me, q. 42. a. 1, 2me réponse).

اللحى في الاسلام

مقلم حبيب زيات (†)

المقدمة

من املح ما يمر بالناظر في ماضي الحضارة العربية واوصاف احوالها اخبار هذه الشعرات النابتة فوق صحنات الخد وما روي من العناية بها او قيل من هزل وجد وقد ثلّ اليوم عرشها وتقلص ظلها بعد ان مضى عليها دهر طويل وهي سائدة على الوجوه مفترشة كل الصدور حتى صح لاحد الشعراء وقد عاين كثرتها حوله وكثافتها ان يقول :

الا ليت اللحى كانت حشيشاً فنطفها خيول المسلمينا

وقد سبق الرسول واوصى خيراً بهذه السبلات المتدلية من الحنك والعارضين وامر بصيانتها بقوله احفوا الشوارب واعفوا اللحى . واقتدت به زوجته عائشة ام المؤمنين وكانت تعدها زينة للرجل وتقسم بها وتقول : لا والذي زين الابطال باللحى . وعندها ان هذا الحلف هو حانث المنكثة .

وخالف ابن الرومي قدماء هذه النوابة الامامية « بخلاة كخلاة الحمير » واقتدى به الشعراء العباسيون فوسموها سباً وشتماً وتفننوا في اهجيتها والحزء بها بكل مستهجن طريف وسيمر بنا من اقوالهم ما لا مزيد عليه من الاحسان.

وفي ضد ذلك فقد كان لها من الجلالة والمهابة في العيون ما بعث البعض على القول « لوددنا انا اشترينا اللاحف لحية بعشرين الفاً — لا شك من الدنانير — ونقل مثل ذلك عن الانصار في قيس بن سعد وكان اجرد فكانوا يقولون « لوددنا انا اشترينا له لحية بانصاف اموالنا » .

ومن اجل هذه القيمة الغالية كانت مستحبة للكتاب والشعراء. لما كانت تكسب صاحبها من الوقار . واشهر من افتخر بها منهم ابان بن عبد الحميد اللاحقي كتب الفضل بن يحيى البرمكي رقعة ابيات وصف فيها كثافة لحيته وانفه الطويل قبل براعة ادبه فقال :

لحية كثة وانف طويل وانفار كشطة المصباح

وكنا نرى اولًا ان الاهتمام بجميع هذه الاحاديث والملح اضاعة للوقت في اللهو وعمل على الفشل والخسار ثم اسعدنا الحظ بالطواف على اشهر الخزائن العربية في الشرق والغرب وتفرغنا في اثنائه للمطالعة والتنقيب فربنا من غرائب اخبار اللحى ونفعها ومن شوارد عاداتها وتكاليفها في الخلافة العباسية ما لا يسع مؤرخ الحضارة السكوت عنه ولا يجمل بالمتأدب جهله فاقبلنا على تقييد كل هذه النكاهات اللحيانية في جملة ما اخذنا على نفسنا جمعه والتنبيه عليه من اوصاف الحضارة السالفة حتى نحت دفاترنا بهذه بما وجدناه واخذنا بنقل ما يصلح ان يستمع ويتمتع به من مزايا اللحى في الاسلام الى سقوط دولة المماليك من اطالة لها وقص واسبال وعقص وتكبيس وتغليف وخضاب وتبخير وتسريح ومسح ودهن وجذب ونتف وحلق وتعبير وتشهير بحلق بعضها الواحد واعفاء الآخر في جملة الاقتصاصات والاحكام. وروينا اهم ما قاله فيها الشعراء الذين لهوا حينا بها وتبارت قرائحهم في تشبيهها وتحقيرها الى ما شاكل ذلك من لوازمها وخصالها حتى عد بعضهم مثلبتها فضيلة لها لوقايتها صاحبها من السب والشتم الذي كان يحل به دونها لانحصار الهزء والسخرية بها وصيانتها عرضة من المزيد. وغززنا كل هذه الاقوال والروايات بذكر الاصول المستمدة منها ليكون القارئ على يقين من صدقها وامانتها ونرجو ان تقع هذه الاخبار اطيب موقع لدى كل اديب راغب في الوقوف على اسرار الحضارة العربية في الاسلام ونكون بعد ذلك قد خرجنا من عهدة ما قطعنا على انفسنا تعريفه ووصفه من اخبار اللحى.

١ – اللحية في اللغة

يقال لمقدم اللحية سبلة ورجل مسبل طويل اللحية وسمعتهم يقولون: حيًا الله سبلتك وحيًا الله هذه السبلة المباركة[1]. العثنون اللحية او ما فضل منها بعد العارضين او ما نبت على الذقن وتحته سفلا.

الذقن مجتمع اللحيين من اسفلها والعامة تستعمله للحية. وللبوصيري:

قومي اطلبي حقك منه بلا ... تحلف منك ولا قترة
وان تأبى فخذي ذقنه ... واتخيها شعرة شعرة[2]

١) اساس البلاغة ١: ٤٢٠–٤٢١ ٢) فوات الوفيات ١: ٢٥٩

ولابن نباتة المصري :

رأيت في حسنك غزالا ... تحار في حسنه العيون
فقلت ما الاسم قال موسى ... قلت هنا تخلق الذقون[1]

وللحسن بن علي الشيخ بدر الدين المحدّث الكاتب :

وقد عتفوني في هواه بقولهم ... ستطلع منه الذقن واصبر على الحزن
فقلت لهم كفوا فاني واقع ... وحقكم بالوجد فيه الى الذقن[2]

وللسراج الورّاق :

اتيت ارجّيه في حاجة ... فلم تنبت نامه الجامدة
وقتّل في نفسه والنقو ... س تعاف المفتة الباردة[3]

ولجمال الدين بن نباتة :

تبسّم الشيب بذقن الفتى ... يوجب سح الدمع من جفنه
حسب الفتى بعد الصبا ذلة ... ان يضحك الشيب على ذقنه[4]

اهل بغداد يكنون عن اللحية بالمحاسن فيقولون لمن بلحيته قذاة : يدك على محاسنك[5] .

وهناك اوصاف اللحية في اللغة :

ثطّ الرجل يثيط كان ثطاً ورجل اثط كوسج وقليل شعر اللحية والحاجبين رجل مخروط قليل اللحية والمخروطة من اللحى التي خف عارضها وسبط عثنونها وقيل هي الطويلة .

زبق لحيته يزبُقها زبقاً نتفها .

رجل زلب خفيف اللحية وكذلك الحَليق .

رقش لحيته سرحها حتى صارت كانها رقش .

السِّناط كوسج لا لحية له اصلاً او الخفيف العارض ولم يبلغ حال الكوسج او لحيته في الذقن وما بالعارضين شي .

رجل اصبح اللحية للذي يعلو شعر لحيته بياض مشرب بحمرة[6] .

---

١) ديوانه طبعة مصر ٥٣٢
٢) فوات الوفيات ١ : ١٦٥
٣) خزانة الادب لابن حجة ٢٤٦
٤) خزانة الادب ٣٠١
٥) النهاية في التعريض والكناية للثعالبي ٤٥
٦) معجم البلدان ٣ : ٣٦٥

ضرط الرجل يضرَط ضرطاً خفت لحيته ورق حاجبه .

لحية عَثْوَلَيَّة كبيرة كثّة انشد ابو العباس المبرّد :

كل امرئ ذي لحية عثولية يقوم عليها عن ان له فضلا
وما الفضل في طول السبال وعرضها اذا الله لم يجعل لصاحبها عقلا[1]

من المجاز : لحية فارض : كبيرة ضخمة . يقول قلّت السعادة في اللحية الفارض الثقيلة على العوارض[2] .

كثّت اللحية اجتمع شعرها وكثر نبته من غير طول وكثف وجعد .

لحية كثّمة اي كثة ورجل كثّم اللحية اي كثها .

الكوسج الذي لا شعر على عارضيه . فارسي معرب .

النكريش لفظة اعجمية والاصل فيها نيك ريش معناه لحية جيدة وهو على ما تقرر من اصطلاح العجم انهم يقدمون ويؤخرون في الفاظهم البركة فنيك جيد وريش لحية[3] .

قال قوم مشقة امرد الخد وقد قيل انه نكريش
قلت فرخ الطاووس احسن ما كان اذا ما علا عليه الريش

وكان في جوار الحسين بن الضحاك طبيب يداوي الجراحات يقال له نصير وكان مخنثاً فاذا كانت وليمة دخل مع المخنثين واذا لم تكن عالج الجراحات فقال فيه الحسين بن الضحاك .

نصير ليس المرد من شأنه نصير طبّ بالنكاريش[4]

الهلوف الضخم اللحية والهلوقة اللحية الضخمة .

التفّ وجه الغلام وغلام ملتفّ الوجه اذا اتصلت لحيته .

غلّل لحيته اسال الماء بينها . كل ذي لحية علج .

لحية ليّة اي اختلط شعرها ببياضها .

---

١) شرح المقامات للشريشي ١ : ٣٥
٢) اساس البلاغة ٢ : ١٩٥
٣) فوات الوفيات ٢ : ٣٩١
٤) الاغاني ٦ : ٢٠٦

٢ – اللحية في الحديث

عن ابن عمر عن النبي صلعم قال خالفوا المشركين وفّروا اللحى واحفوا الشوارب وكان ابن عمر اذا حج او اعتم قبض على لحيته فما فضل اخذه[١].

قال عليه السلام: «احفوا الشوارب واعفوا اللحى ولا تتشبهوا باليهود[٢]».

قال رويفع بن ثابت كنت في مجلس فيه رسول الله صلعم وكنت من احدثهم سنًا فنظر الى رسول الله صلعم فقال رويفع لعله سيطول بك العمر فاخبر الناس انه من استنجى برونثابة او بعظم او علق وترًا يريد تميمة او عقد لحية في الصلاة فقد برئت منه ذمة محمد[٣].

في حديث النخعي انه كان يبطن لحيته ويأخذ من جوانبها. قال شمر معنى يبطن لحيته اي ياخذ الشعر من تحت الحنك والذقن (اللسان ١٦ : ٢٠٠).

٣ – طول اللحى وعرضها

قال النبي (صلعم) من سعادة المرء خفة لحيته وكانت عائشة (رضها) تقسم وتقول لا والذي زين الرجال باللحى وتقول انه قسم الملئكة... وقال (صلعم) اعتبروا عقل الرجل في ثلاث: طول لحيته ونقش خاتمه وكنيته...

الحسن بن مثنى: اذا رأيت رجلًا له لحية طويلة ولم يتخذ لحية بين لحيتين كان في عقله شيء... أنشد المأمون يقول:

ما احد طالت له لحية فزادت اللحية في حليته
الا وما ينقص من عقله اكثر ما زاد في لحيته[٤]

قال الزمخشري: سمعت العرب ينادون الطويل اللحية يا ابا الطويلة[٥]

قال الجاحظ ما رأيت رجلًا عظيم اللحية الا وجدته كوسج العقل[٦].

انشد ابو الحسين هلال بن ابرهيم (الصابي) قال انشدني ابي لنفسه:

لحية منصور اذا سُرّحت تضيق عنها سعة البيت

١) صحيح البخاري ٧: ٥٣
٢) نوادر الاشراق ٩٥
٣) فتوح مصر لابن عبد الحكيم ٢٧٩ – ٢٨٠
٤) شرح المقامات للشريشي ١ : ٣٤-٣٥
٥) المستطرف للابشيهي ٣ : ٤٤
٦) جمع الجواهر في الملح والنوادر ١٥٢ للحصري

كأنها وهو لقى تحتها بادية هدّت على ميت
سبحان من يعطي اللحى من يشا ويجعل الكوسج في الزيت[1]

سندي بن شاهك ابو نصر مولى المنصور امير دمشق خلافة عن اميرها موسى بن عيسى الهاشمي ... يروى انه ضرب رجلًا طويل اللحية فجعل يقول : العفو يا ابن عم رسول الله . فقال: ويلك اهاشمي[1] ؟ فقال يا سيدي تريد لحية وعقلًا ؟[2] .

ولابي البشر النصراني الكاتب يهجو ابا الفضل الشيرازي الكاتب :

ما كلّ من طوّل عثنونه ينال فضلًا يا ابا الفضل
طولت عثنونك تبغي العلى اي عُلًا في ذنب البغل
ولست احصيكم رأيت امرءا الحى ولكن كوسج العقل[3]

قال الاحنف بن قيس : اذا رأيتم الرجل طويل القامة عظيم اللحية فاحكموا عليه بالحمق وقال معاوية لرجل كفى ان نشهد عليك بالحمق ما نراه من طول لحيتك . وقال آخر وتلطف ما شاء : من طالت لحيته تكوسج عقله . وقال اصحاب الفراسة من طالت قامته وطالت لحيته وجبت تعزيته في عقله . وقالوا اذا كان الرجل طويلًا طويل اللحية وأضيف الى ذلك ان يكون صغير الرأس فأحكم عليه بالحمق . وقال زياد : ما زادت لحية الرجل على قبضته الا كان ذلك نقصاناً من عقله . وقال الشاعر :

اذا عرضت للفتى لحية وطالت وسارت الى مرفه
فقد ضاق عقل الفتى عندنا بمقدار ما زاد من لحيته[4]

لابرهيم بن صالح الوراق في هجاء ابن زكريا المتكلم الاصبهاني :

لعمرك ما طالت تلك اللحى لكم حياة ولكن بالعقول الكواسج[5]

---

١) المنتخب من كنايات الادباء واشارات البلغاء للقاضي ابي العباس الجرجاني القاهرة ١٩٠٨ ص ١٣٤ ... من كنايات العامة فلان في الزيت وربما قيل الحشيش في الزيت لمن وقع في شدة وهم ص ١٣٤

٢) تحفة ذوي الالباب للصفدي ٥٨٢٧ باريس ٦١

٣) نثوار المحاضرة للتنوخي ج ٨ مجلة المجمع العربي ١٣ : ١٧١

٤) ثمرات الاوراق لابن حجة ١١٢ ٥) ارشاد الاريب ١ : ٦٥

(في ايام الخليفة هشام الاموي بالاندلس) من كان من ذوي الاسماء القريبة من الناس ذا لحية عثولية وصاحب سبال وهامة فقد تمت له السعادة ولا سيما ان كانت لحيته حمراء قانية فانها اجدى عليه من دار البطيخ غلة ثم لا يسأل عما وراء. رواته من اصل ولا فضيلة ولو كان مردداً في بني اللخناء. ترديداً وعارياً من جميع الخصال (الذخيرة لابن بسام القسم الرابع المجلد الاول ص ٦٣) .

قال رجل لبعض مجانين الكوفة : ما هذه اللحيـة — وكانت كبيرة — فقال : والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربّه والذي خبث لا يخرج الا نكدا .

لابي جعفر محمد بن اسحق الجاني يقول في هجاء لحيته الطويلة :

يا لحية قد علقت من عارضي ... لا استطيع لقبحها تشبيها
طالت فلم تفلح ولم تك لحية ... لتطول الا والحماقة فيها
اني لاظهر للبرية حبها ... والله يعلم انني اقليها[1]

كان ابو الربيع اللجاني عظيم اللحية جداً فدخل على محمد بن الاغلب وهو يومئذ الامير فكلمه ووعظه فقال له محمد بن الاغلب ما طالت الا حمقت فقال له ابو الربيع لا تفعل ايها الامير فان الله عزّ وجلّ يقول والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكداً . وكان محمد بن الاغلب وجهه كالخدي ليس فيه الا شعرات يسيرة[2] .

من تمام آلة القاضي ان يكون لحيانياً[3] .

للقاضي ابي عبد الله محمد بن علي المعروف بابن حشيشة المقدسي ويقال له الهاشمي:

طول اللحى زين القضاة وفخرهم ... وتميز عن غاغة سفهاء
لو كان في قصر جا فخر لها ... لم يروَ فيها ستة الاعضاء[4]

نظر علي بن حجر الى لحية ابي الدرداء المروزي وهو طويل اللحية فانشأ يقول:

ليس بطول اللحى يتوجبون القضا ... ان كان هذا كذا فالتيس عدل رضا[5]

---

١) الشافي من كتاب نتمة اليتيمة الثعالبي طهران ١٣٥٣ ص ٣٠
٢) كتاب علماء افريقية لمحمد بن تميم التميمي ١٢٤—١٢٥
٣) محاضرات الراغب ١: ٢١٩
٤) نتمة اليتيمة للثعالبي طبعة طهران ١: ٢٤ ٥) تاريخ بغداد للخطيب ١٠: ٤٥٥

كان الفضل بن غانم (الخزاعي قاضي مصر سنة ١٩٨ هـ) كبير اللحية جداً فكان يجعل في لحيته عوذة خوفاً من عين لهيعة (بن عيسى الحضرمي سلفه على القضاء) كان يفعل ذلك يوم الجمعة اذا خطب[١] .

وصف الثعالبي مجلس المهلبي وندمائه من القضاة وما منهم الا ابيض اللحية طويلها فقال : اذا تكامل الانس وطاب المجلس ولذّ السماع واخذ الطرب منهم مأخذه وهبوا ثواب الوقار للعقار . . . ووضع في يد كل واحد منهم كأس ذهب من الف مثقال الى ما دونها مملوءة شرابا قطربليا او عكبريا فيغمس لحيته فيه بل ينقعها حتى تتشرب اكثره ويرش بها بعضهم على بعض ويرقصون[٢] .

من رسالة لعمارة اليمني في وصف القضاء في ايامه :

قد صار القضاء في وقتنا ... لما قضى الله من مقتنا
مبذولاً لمن بذل فرضاً ... معروضاً على من لا يصون عرضا
شعارهم طول السبال والقامة ... وعرض اللحية والعمامة[٣]

ابن المدائني قال تحول ابو عبد الله الكرخي الى الخُرَيبة (موضع بالبصرة) فادعى الفقه وظن ان ذلك يجوز لمكان لحيته وسمته فالقى على باب داره البواري (خضرا) وجلس[٤] .

اهل الهند تطول لحاهم حتى ربما رأيت لاحدهم لحية ثلثة اذرع واذا مات احدهم حلق رأسه ولحيته[٥] .

قندهار بلد بالهند . . . كثيرة الخلق وهم قوم يتازون بلحاهم لانهم يتركونها حتى تصل الى الركب ودونها وزيهم كزيّ الاتراك .

حسران جزيرة ارض واسعة بها جبل عال في سفحه ناس شعر فصارت لحاهم تبلغ ركبهم[٦] .

١) كتاب القضاة للكندي ٤٢٠ -
٢) يتيمة الدهر دمشق ٢ : ١٠٦-١٠٧
٣) الكتب المصرية ٤٣٨-٤٣٩
٤) عيون الاخبار ٣ : ٥٤
٥) كتاب البلدان لابن الفقيه ١٤
٦) جنى الازهار من الروض المطار لشهاب الدين المغربزي ، رقم ٤٥٨ (جغرافية) دار الكتب المصرية ١٥ و١٧

كل بلد شديد البرد فاهله اسمن واضخم واحسن واكبر لحى مثل فرغانة وخوارزم وارمينية[١] .

نحن (اهل خراسان) اصحاب اللحى ارباب النهى[٢] .

كانت صفة عمرو بن العاص ... قصيراً عظيم الهامة ... عظيم اللحية[٣] .

كان ابو جعفر (الطبري) كبير اللحية حسن القيام على نفسه[٤] .

علي بن المبارك اللحياني صاحب كتاب النوادر قيل سمي اللحياني لعظم لحيته[٥] .

كمال الدين ابو الشمس افلاطون بن عبد الله الهندي الحكيم... كان طويل الذقن وله اخلاق حسنة فكان يصفر لحيته ويلبس القبا. النسيج وقلنسوة ويتكلم بشي. لا يفهمه[٦] .

سنة ٥٤٧ هـ (١١٦٩ م) توفي محمد بن منصور ابو بكر القصري... كانت له شيبة طويلة تعبر سرته[٧] .

لما اختلف الملك الصالح اسمعيل بن شيركوه صاحب حمص والامير عماد الدين ابرهيم بن المجير في مجلس السلطان الملك الناصر في قتل (التتار) قال له الملك الصالح انت كما قيل طويل ولحيتك طويلة فقال له عماد الدين الا اني ما ربيت في حمص . اشار الصالح الى ان الطويل القامة واللحية غالباً يكون قليل العقل. واشار عماد الدين رحمه الله الى ان من ربي بحمص يكون اجدر بقلة العقل . وهذا انما هو على ما تقوله العوام لا على الحقيقة[٨] .

سنة ٦٤٧ وصل الى بغداد في هذه السنة شخص صغير الخلقة جداً يقال له

---

١) احسن التقاسيم ٣٦

٢) رسالة للجاحظ الى الفتح بن خاقان في مناقب الترك لبدن ١١

٣) فتوح مصر لابن عبد الحكم ٥٨

٤) ارشاد الاريب ٦:٤٦

٥) ارشاد الاريب ٥:٢٩٩

٦) تلخيص مجمع الاداب للنوطي كتاب الكاف ١٥٢

٧) المنتظم ١٠:١٥٠

٨) كتاب الذيل على مرآة الزمان لقطب الدين موسى اليونيني أكسفرد Poc. 132 — f 47 b

ابو منصور الاصفهاني وطوله ثلاثة اشبار وثلاثة اصابع ومن كعبه الى ركبته قبضة ولحيته طويلة وعمره خمس واربعون سنة[1] .

محمد بن يوسف بن صلاح شمس الدين الدمشقي ثم المصري الشهير بالحلاوي († ٨٤٠ هـ — ١٤٢٦ م) كان ذا لحية طويلة جداً يضرب بطولها المثل وكان الشيخ شمس الدين الدجوي كثير ما يتعرض للحية من ذلك قوله :

ظن الحلاوي جهلاً ان لحيته ... تنبيه في مجلس الافتاء والنظر
واشرضها طولا قد اعتزلت ... بالعرض باحثة في مذهب القدر[2]

لاحد الشعراء:

لقد كانت مجالسنا مناحا ... فضيقها بلحية رباح
مقلبة الاسافل والاعالي ... لها في كل زاوية جناح

ولآخر :

يا ايها الناس خذوا حذركم ... قد برزت لحية جلول
فطولها الفرسخ في فرسخ ... وعرضها ميل الى ميل
لو ضُمَّ ما يقطر من دهنها ... أسرج منه الف قنديل[3]

ولابن قلاقس يصف رجلاً بكبر اللحية وهي ليست في ديوانه المطبوع :

تركت صدرته السو ... داء منها تحت قبّ
وهي فوق الصدر قد ... سدّته من شرق لغرب

والقب الانف الفخم العظم .

للشيخ شرف الدين عيسى العالية في بدر الدين البشتكي :

البشتكي البدر له لحية ... كلحية الراهب مشورة

(خزانة الادب ٣٣٧)

حكى الحسن في هلال الصابئ في كتاب الهفوات ان ابا نصر بن مسعود الكاتب لقي يوماً ابن البواب الكاتب فسلم عليه وقبل يده فقال له ابن

---

١) الحوادث الجامعة للقرطبي بغداد ١٨٦ ، ٢٤٢
٢) المنهل الصافي نسخة الجامعة المصرية ٧ : ٣٣١
٣) شرح المقامات للشريشي ١ : ٣٦

البواب: الله الله يا سيدي ما انا وهذا ؟ قال لو قبلت الارض بين يديك لكان قليلاً . قال ولمَ ذلك يا سيدي وما الذي اوجبه واقتضاه ؟ قال انك تفردت باشياء ما في بغداد كلها من يشاركك فيها منها حسن الخط فانه لم ارَ عمري كاتباً من طرف عمامته الى طرف لحيته ذراعان ونصف غيرك فضحك ابن البواب وجزاه خيراً وقال اسألك ان تكتم عني هذه الفضيلة وكانت لحية ابن البواب طويلة[1] .

احمد بن سيار القاضي الصيمري قلد قضاء الجانب الشرقي من بغداد ثم قلد قضاء الحرم بدار الخلافة . . . كان له هيئة ومنظر عظيم وجثة مهولة ولحية طويلة فتقدم اليه امرأتان ادعت احداهما على الاخرى فقال القاضي ابو بكر ما تقولين في دعواها ؟ فقالت انزع أيد الله القاضي . فقال القاضي مِمَّ ذا ؟ فقالت لحيته طولها ذراع ودنية طولها ذراع فاخذتني هيبتها فرفع القاضي دنيته عن رأسه وحطها على الارض وغطى لحيته بكمه وقال لها : قد نقصتك ذراعين اجيبي عن دعواها . توفي سنة ثمان وستين وثلثمائة[2] .

كان مع المهدي رجل من اهل الموصل يقال له سليمان بن مختار وكانت لحيته طويلة عظيمة . فذهب يوماً ليركب فوقعت لحيته تحت قدمه في الركاب فذهب عامتها . فقال آدم بن عبد العزيز قوله :

قد استوجب في الحكم سليمان بن مختار
بما طوّل من لحيته جزّا بمنشار
او السيف او الخلق او التحريق بالنار
فقد صار بها اشهر من راية بطار

ثم انشدها عمر بن بزيغ المهدي فضحك وسارت الابيات فقال اسيد بن اسيد وكان وافر اللحية ينبغي لامير المؤمنين ان يكف هذا الماجن عن الناس فبلغت آدم بن العزيز فقال :

لحية قمت وطالت لاسيد بن اسيد
كذراع من عباء قطعتْ حبل الوريد

---

١) عيون التواريخ لابن شاكر الكتبي . لندرة or. 3005, f 44 b

٢) الوافي بالوفيات . اكسفرد Seld. Ar. 21

يعجب الناظر منها من قريب وبعيد[1]

كان وردان شرقي بغداد منسوب الى وردان بن سنان احد قوّاد المنصور كان عظيم اللحية جدًا . قال وكتب عياش المنتوف الى المنصور في حوائج وقال في آخرها : ويهب لي امير المؤمنين لحية وردان اتدفأ بها في هـذا الشتاء. فوقع المنصور بقضاء حوائجه وتحت لحية وردان كتب لا كرامة ولا عزازة[2] .

لا احسن لحى من الديلم[3] . اما ما طال من اللحية فقد اختلفوا في ما طال منها فقيل يقبض الرجل على لحيته ويأخذ ما تحت القبضة ولا بأس به فقد نقله ابن عمرو جماعة من التابعين واستحسنه ابن سيرين والشعبي وكرهه الحسن وقتادة وقالوا تركه الينا لقوله صلعم اعفوا اللحى (معالم القربى لابن الاخوة ١٩٨)

٤ – غرائب اللحى

كان يوسف بن عمر امير العراق في زمن هشام بن عبد الملك من اعظم الناس لحية واصغرهم قامة كانت لحيته تجوز سرته[4] .

كان عباد بن زياد كبير اللحية كأنها جرائق فسار ابن مفرغ مع عباد يوماً فدخلت الريح فيها فنشتها فضحك ابن مفرغ وقال لرجل من لخم كان الى جانبه :

ألا ليت اللحى كانت حشيناً فتطفها خيول المسلمينا[5]

ضياء الدين عبد الله بن سعد القرمي الشافعي المتوفى سنة ٧٨٠ كانت لحيته طويلة جدًا تصل الى رجليه واذا قام يجعلها في كيس واذا ركب انفرقت فرقتين فكل من رآه يقول سبحان الخالق[6] .

محمد بن عمرو بن حزم والي المدينة كان عظيم اللحية له جارية موكلة بلحيته اذا ائتزر لا يأتزر عليها وكان اذا جلس للناس جمعها ثم ادخلها تحت فخذه[7] .

١) الاغاني ج١ : ٦٢-٦٣
٢) معجم ياقوت ٢ : ٣٩٤
٣) احسن التقاسيم ٣٤
٤) مجلد من المغرب في حلى المغرب ١٠٣ م (تاريخ) دار الكتب المصرية ٢٨٣
٥) وفيات الاعيان ٣ : ٤٧٩ ؛ والبداية والنهاية ١٠ : ١٤
٦) وفيات الاعيان ٣ : ٣٨٣
٧) حسن المحاضرة للسيوطي ١ : ٢٦٢ شذرات الذهب ٦ : ٢٦٦
٨) الاغاني ١٧ : ٨٨

اخبرنا رجل في هذه القرية (حمارة) انه رأى ببلاد حمص رجلاً طويل اللحية جداً وقد صار بها غريب الصورة حتى ان لحيته اذا كان واقفاً تصل الى اصابع قدميه وصدقه على ذلك بعض اهل القرية وذكر انه كان سابقاً ورد عليه[1].

كتبغانوين . . . كانت لحيته شعرات يسيرة في حنكه وهي مضفورة ديرتة لطولها وربما جعل طرفها في حلقة في اذنه وربما ارسلها على صدره فتبلغ سرته[2].

كان الصوفي اذا كتب كتاباً اخذ لحيته تحت ابطه واذا كلمه انسان من الجانب الآخر التفت اليه فخلصت لحيته من تحت ابطه فمرت على الكتاب فطمست جميع ما كتبه فيقول اللهم غفرًا فقال فيه بعضهم او في غيره :

لحية قاضي القضاة لو جهدت مجهودها لم تكن كمنفته
اذا اراد الكرى نوسدها فقد كفته مكان مرفقه[3]

سار يوسف بن عمر امير العراق من الكوفة سرًا الى الشام فنزل البلقاء. فلما بلغ خبره يزيد بن الوليد وجّه اليه خمسين فارساً . فاخذوه واقبلوا به الى يزيد فوثب عليه بعض الحرس فاخذ بلحيته ونتف بعضها وكان من اعظم الناس لحية واصغرهم قامة فلما ادخل على يزيد قبض على لحيته بنفسه وهي الى سرته فجعل يقول يا امير المؤمنين نتف والله لحيتي فما ابقى فيها شعرة[4] .

الحسن بن الحسن ابو عبد الله العوفي كان طويل اللحية جداً . . . كانت لحيته تبلغ الى ركبته . . . حدث ابو العيناء حدث ابن ابي داود قال : قامت امراة الى العوفي (قاضي الرشيد) فقالت عظمت لحيتك فافسدت عقلك وما رأيت ما يحكم بين الاحياء قبلك قال فتريدين ماذا ؟ قالت وتدعك لحيتك تفهم عني فقال بلحيته هكذا ثم قال تكلمي يرحمك الله . . . حكى زكريا بن يحيى الساجي بالبصرة قال : اشترى رجل من اصحاب القاضي العوفي جارية فاعجبته ولم تطعه فشكى ذلك الى العوفي فقال انفذها اليّ حتى اكلمها فانفذها

---

١) حلة الذهب الابريز في رحلة بعلبك والبقاع العزيز لعبد الغني النابلسي لوندرة Or 3622

٢) الذيل على مرآة الزمان لليونيني اكسفرد Poc. 132 f 153 والبداية والنهاية ١٣ : ٢٢٧

٣) ديوان المعاني لابي الهلال العسكري add. 23443 f 62

٤) الكامل ٥ : ١١٠

اليه فقال لها يا عروب يا لعوب يا ذات الجلابيب ما هذا التمنع المجانب للخيرات والاختيار للاخلاق فقالت له ايد الله القاضي ليس لي فيه حاجة فرّه يبيعني فقال لها يا منية كل حكيم وبحاث على اللطائف عليم ام علمت ان فرط الاعتياجات من المومقات على طالبي المودات والباذلين لكرائم المصونات مؤديات الى عدم المفهومات فقالت له الجارية: ليس في الدنيا اصلح لهذه الشونات المنتشرات على صدور اهل الركاكات من المواسي الحالقات وضحكت وضحك اهل المجلس ... انشد ابو عبدالله التميمي لبعضهم :

لحية الدرقي ابدت ما اختفى من حسن شعري
جعل البحر من الصين الينا نصف شهر
هي لو كانت شراعاً لذوي متجر بحري
هي في الطول وفي العر ض تعدت كل قدر

(تاريخ بغداد للخطيب ٨: ٣١-٣٢)

٥ - تسريح اللحى

كان صلى الله عليه وآله يسرّح لحيته اربعين مرة ومن فوقها ويقول انه يزيد في الذهن ويقطع البلغم ولربما سرح لحيته في اليوم مرتين[١] .

قال الصادق عمر : مشط الرأس يذهب بالوبا. ومشط اللحية يذهب بالاضراس[٢] .

من روضة الواعظين كان رسول الله صلعم يسرح تحت لحيته اربعين مرة ومن فوقها سبع مرات ويقول انه يزيد في الذهن ويقطع البلغم[٣] .

في رواية عن النبي صلعم انه قال من امرّ المشط على رأسه ولحيته وصدره سبع مرات لم يقاربه داء ابداً[٤] .

قال حسن عن ابن عباس قال النبي صلعم تسريح الرأس واللحية يسل الداء سلّا وقال صلعم تسريح اللحى عقيب كل وضوء ينفي الفقر وروي عن امير المؤمنين عمر انه قال اذا سرّحت لحيتك فاضرب بالمشط من تحت الى فوق اربعين مرة واقرأ انا انزلنا في ليلة القدر ومن فوق الى تحت سبع مرات

١) نوادر الاشراق في مكارم الاخلاق رقم ١٦٩٣
٢) نوادر الاشراق ٩٨
٣) نوادر الاشراق ٩٨-٩٩
٤) نوادر الاشراق ص ٩٩ و ١٠١

واقرأ والعاديات صبحاً ثم قل : اللهم سرّح عني الهموم والغموم ووحشة الصدر ووسوسة الشيطان[1] .

حكي ابن شيخ نضيراباذ (من قرى قزوين) دخل على فخر المعالي ابن نظام الملك فوجده يسرح لحيته بمشط فقال ايها المولى لِمَ تسرح اللحية فقال لانه يزيل الغم فقال : من كان له غم يسرّح لحيته يزول غمه قال نعم فاتفق ان جاء ذات مرة عسكر واكلوا زرع القرية ونهبوها فجاء شيخ القرية الى فخر المعالي وقال احضر المشط قال: لِمَ قال : حتى اقول انا وتسرّح انت فاني جئت بغم كثير[2] .

قال ابن عين لما غاد الى دمشق من اليمن وطالبه اصدقاؤه بدعوة -

تجوع لي الشيخ الزكي وجاءني مع الشمس قبل الشمس يتلوها النجم
وقد سرّحا ذقنيهما وتدربلا من الوشي ما ازدانت حواشيه والرقم
(ديوانه ١٢٨-١٢٩)

من كنايات اهل الشام سرح ذقنه للشيء اذا تهيأ له وطمع فيه .

٦ – مسح اللحى

(ندماء اسد بن جهور العامل) كانت عادتهم اذا شيلت المائدة ان يمسحوا ايديهم في لحاهم ليعلم انهم ما شبعوا شيئاً (وكان معروفاً بالبخل على الطعام جداً)[3] .

قرأنا على ابي بكر الانباري :

مسحوا لحاهم ثم قالوا سالموا يا ليتني في القوم اذ مسحوا اللحى

يقول انهم اجتمعوا للصلح عند الطهانينة لما اخذوا الدية ورضوا بها فمسحوا لحاهم ثم قال بعضهم لبعض : سالموا : وذلك ان الرجل لا يمسح لحيته الا عند الرضى فقال : يا ليتني انت فيهم حتى لا ارضى بما يصنعون[4] .

---

١) نوادر الاشراف ١٠٢
٢) اثار البلاد للقزويني طبعة اروبة ٣١٤
٣) نشوار المحاضرة ١ : ٢٠٠
٤) الامالي لابي علي القالي طبعة الدار ١٨٣

ربما تشاغل العبي بفتل اصبعه ومس لحيته وغير ذلك من بدنه وربما تنحنح وقد قال المشاعر يعيب بعض الخطباء في شعره :

ملء بهر والتفات وسلة ... وسعة عثون وفتل الاصابع[1]

لابن عين من قصيدة :

وقد مرّحا ذقنيها وشربلا ... من الوشي ما ازدانت حواشيه والرقم[2]

سأل رجل الشعبي ـ المسح على اللحية فقال خللها باصابعك فقال اخاف ان لا تبلها قال الشعبي فان خضت فانقعها من اول الليل[3] .

٧ – خضاب اللحى وتنظيفها بالغالية وتبخيرها

ذكر ابو العباس المبرد في كتاب الكامل ان يزيد بن مزيد نظر الى رجل ذي لحية عظيمة وقد تلفت على صدره واذا هو خاضب فقال له انك من لحيتك في مؤونة فقال أجل ولذلك اقول :

لعمرك لو يعطى الامير على اللحى ... لاصبحت قد ايسرت منذ زمان
اذاً لشفتني لحيتي من عصابة ... لهم عنده الف ولي مائتان
لها درهم للدهن في كل ليلة ... وآخر للحنّاء يبتدران
ولولا نوال من يزيد بن فريد ... لعوّمت في حافاتها الجلبان

فامر له بعشرة آلاف درهم[4] .

جرى بين ابي العباس(السفاح)وبين ام سلمة بنت يعقوب بن سلمة المخزومية زوجته يوماً كلام فاخرته فيه باهلها فقال لها ابو العباس انا احضرك الساعة على غير أهبة مولى من مواليّ ليس في اهلك مثله ثم امر باحضار عمارة بن حمزة على الحال التي يكون عليها فاتاه الرسول في الحضور فاجتهد في تغيير زيه فلم يدعه فجاء به الى ابي العباس وام سلمة خلف الستر واذا عمارة في ثياب ممسكة قد لطّ لحيته بالغالية حتى قامت واستتر شعره فقال يا امير المؤمنين ما كنت احب

١) الكامل للمبرد طبعة ليبسيك ٢٠
٢) ديوانه ١٢٩ .
٣) الحادي عشر من تذكرة ابن حمدون ١٥١٤ (ادب) دار الكتب المصرية ٣ : ١٤٥
٤) شرح المقامات للشريشي ١ : ٣٥

ان تراني على مثل هذه الحال فرمى اليه بدهن كان بين يديه فيه عالية فقال يا امير المؤمنين اترى لها من لحيتي موضعاً ؟ [1]

لما قتل محمد بن واثق وتفرغ قلب الاخشيد احب ان يسلك طريقة احمد بن طولون وابنه ابي الجيش فتقدم باشياء منها ... الا يكون في عسكره شيخ وان يصبغ الشيرخ حاهم . فقيل له يحتاج الصباغ الى مؤونة فزاد كل واحد في رزقه من خمسة دنانير وما زاد [2] .

ليزيد بن الحكم من قصيدة :

وما منك الشباب ولست منه اذا سألتك لحيتك الخضابا [3]

صوت ابو الشبل قال : كنا عند قاسم بن جعفر بن سليمان ذات يوم ومعنا محمد بن بشير ونحن على شراب فامر ان يبخر ويطيب فاقبلت وصيفة له حسنة الوجه فجعلت تبخرنا وتتلفتنا بغالية كانت معه فلما غلفت ابن بشير ومجرته التفت الي وكان الى جنبي فانشدني :

يا باسطاً كفه غوي يطيبني كفّاك اطيب يا حبي من العليب
كفاك تجزي مكان الطيب طيبها فلا تردني عليها عند تطييبي [4]

(للمقال صلة)

١) كتاب الوزراء والكتاب للجهشياري ٩٣-٩
٢) المغرب ٣
٣) الاغاني ١١ : ١٠٢
٤) الاغاني ١٢ : ١٣٨

تعريف عن الكتب

تاريخ

JACQUES CAILLÉ : *La Mission du Capitaine Burel au Maroc en 1808.* Notes et Documents N° XIII de l'Institut des Hautes-Études Marocaines. 138 pp. in 4° avec un index des noms, une bibliographie et 10 planches hors-textes. Paris, 1953.

يشتمل هذا الكتاب على مقدمة بصدد علاقات فرنسة ومراكش الديبلوماسية من معاهدة سنة ١٧٦٧ حتى حرب اسبانية وبصدد هذه الحرب حتى قبيل مهمة الكابيتان بورل (Burel) ومن ثم على طبعة لمستنداته اي على تقرير مهمته الديبلوماسي وعلى مذكراته العسكرية بشأن الامبراطورية المراكشية واخيراً على مفكرة ملحوظاته الشخصية .

واننا لنقع في هذه المقدمة على هبات السيد كايه (Caillé) كمؤرخ وعلى مهارته الفنية في بحث احد العهود حيّاً يرسم لوحة اجمالية له تزينها الآن التفصيلات الواضحة .

وتحفل مستندات الكابيتان بورل بجليل الفوائد ، وهي واضحة دقيقة قد نقّحها احياناً صاحب باع طويل واضاف اليها ذيولاً شديدة الفوائد العلمية حول شتى الموضوعات مستفيضاً في بسط المعلومات المستحبة واجلّها خطراً في جميع الحقول : اللغوية والجغرافية وادب الالوان المحلية والتاريخية ...

ولا بدّ لنا من تهنئة المؤلف ومعهد الدروس العليا المراكشية وشكرهما على هذا الكتاب .

هنري شارل اليسوعي

ALEXANDRA DAVID-NEEL: *Le vieux Tibet face à la Chine nouvelle.* (avec 23 gravures hors texte et une carte en dépliant), Paris, Librairie Plon, 1953, 241 pages.

... انه لكتاب صغير تشرّق مطالعته وضعته ادبية افرنسية تناولت فيه بلداً اشتهر بانه لا يستطيع ولوجه احد ، وقد قضت الشطر الاعظم من حياتها في التيبت والبلدان المجاورة لها : كالهند والصين ونيبال ، واحرزت هذه الكاتبة

بفضل ما قامت به من رحلات سيراً على الاقدام في تلك البلاد وبفضل ما اطلعت عليه من كتب في لغة التيبت مقدرة استثنائية ، اما كتابها فلا يعيد اقوال المؤلف نفسه ولكنه يبحث بالاحرى عما سيصير اليه « وجه العالم » بعد احتلال الصين الشيوعية له او بعد احتلالها له للمرة الثانية . وان الفكرة العامة هي ان التيبت لن تتحول تحولاً عميقاً عما كانت عليه على رغم المجهود الموقت لجعلها عصرية : كشق الطرقات وحتى انشاء مطار لاسا وايجاد قانون جديد للاراضي الخ ، وفي هذا الصدد لنذكر بعض اسطر جاءت في الصفحة ٣٥ وهي تلقي في الذهن كثيراً من الخواطر : الطائرات في لاسا المدينة الحرام التي كادت تكون اسطورية ! يا له من انقلاب ! ان لاسا لا تبرح على رغم هذا التغيير الظاهري «اشد حراماً» من اي زمن مضى . . . وانه بعد ان تخمد جذوة الفضول التي احدثتها عودة الصينيين الى التيبت سيزل حتماً الستار على هذه الرواية التي تمثل على مسرح « وجه العالم » الفسيح وبين زخارفه ، وسيعود الصمت الى عزلته الفتانة التي لا تلفت الدول المعاصرة الكبرى الا عرضاً اليها ، فهناك ليس من مأساة وانما رواية هزلية نتمنى لها ان تظل ولداً طيباً يساير مزاج شعب التيبت.

اوجين غونتيه اليسوعي

HALFORD L. HOSKINS : *The Middle East. Problem Area in World Politics*. VII-312 pp. in 8° avec 6 cartes et un index. Macmillan, New York, 1954. Prix 4 $

لقد تصدى المؤلف الى بيان تاريخي ووضع راهن لقضية نقاط الشرق الادنى الاكثر حساسية : فتصدى الى ذكر تركية ومسألة المضايق وقضية السويس والمسألة السودانية والى اسرائيل وتقسيم فلسطين والى المبادئ الوطنية والجامعة العربية وعلاقات ايران الخارجية وسياسة البترول واستراتيجيته ، والى ميزانية حسابات النقطة الرابعة والدفاع عن الشرق الادنى وكيفية تعزيز مركزه . . .

ومما جعل لهذا البيان صورة مصغرة جد التصغير وبسيطة باطلة كلية كثرة القضايا التي تصدى الى ذكرها وعظيم اهميتها وذلك في صفحات محدودة بالنسبة اليها لتبرز ميزتها كل البروز بسبب تعويله على المصادر التي كادت تكون تقريباً

انكلوساكسونية برمتها او بالاحرى اميركية اي بردّ مراجعها الى اختبارات ودراسات حديثة جدّ الحداثة كانت الغاية منها تلبية شواغل بال بسيطة جدّ البساطة لكي لا يكون النظر الى جميع هذه الامور الا كانها امور ثانوية مسلمٌ بها كامور البترول والدفاع ضد الروس .

وان قوة سياسة تركية وحدها وهي الرابضة بين جبال منيعة تفسح المجال امام تنظيم عسكري ملائم . اما جميع ما تبقى من الدفاع عن الشرق الادنى فمقصور على قواعد للطيران ، ولا يخدع الاميركيون بسرعة عطب منابع البترول ولا يضعف مواصلات البحر المتوسط مع اسية الجنوبية وشرقي القارة الافريقية التي يشدّ خناقها ممرّ قناة السويس بكل سهولة ، فلماذا تغير قضية الشرق الادنى من الناحية العسكرية والاقتصادية على حين انها قبل كل شيء قضية ثقافية وتربوية وسياسية واجتماعية .

والخلاصة انّ المؤلف لا يتحدث من نكد الطالع لا عمّا يستطيع ان يكونه الخير الايراني في الاسلام الحديث ، ولا عن البلبلة المريرة التي اوجدتها اسرائيل في داخل قلب العالم العربي ، ولا عن المخاوف التي احدثتها بين الاقليات المسيحية هنا وهناك التدابير الادارية المتحيزة لفئة دون اخرى تحيزاً شديداً ، وانها لارضاع جدير البحث فيها في نظر الاميركيين وانما ينبغي ان يناقشها على الاقل رجال من الخارج يدعون انهم يمارسون نفوذهم .

ومن سوء الحظ فكرة النقطة الرابعة النبيلة لم تطبق تطبيقاً وفياً لانها لم تحترم الا قليلاً السيادة المحلية والتقاليد الموضية لأبي السوريون واللبنانيون ضمناً ان « يتمثلهم » الاقتصاد ، اما اذا لم يعرف الحاكمون ان يتخلصوا من هذا الابتلاع فانهم يزيدون في اتساع الهاوية المحفورة بينهم وبين الجمهور بواسطة ديموقراطية زائفة مبطنة باقطاعية بورجوازية .

ان سياسة توحيد مرافيق الدفاع العسكري وان اثراء الطبقات القائدة اما عن طريق العائدات البترولية واما عن طريق مشروعات النقطة الرابعة ليسهل على السوفيات عملهم .

هذه هي مشكلة الشرق الادنى التي على « الخبراء » ان يعرضوها على مواطنيهم النائين .

هنري شارل اليسوعي

SILVIO ROMANI : *Elementa Juris Ecclesiae Publici Fundamentalis.* Rome, « Mater Cleri ». 1953. 311 pages, 4e édition.

هو مؤلف في الحقوق الكنسية العامة يستحق التقريظ بسبب وضوحه وصحة تعليمه (كما في كلامه على علاقات الكنيسة بالدولة) .

ويدور في اعتقادي اننا نستطيع ان نأخذ عليه كونه ابتدائياً عاماً حتى لمدارس الاكليريكيين في اول سنيها لدراسة اللاهوت « كما في تعداده تعداداً مقتضباً الاقتضاب كله لاعضاء حكومة الكنيسة » صفحة ١٤٦—١٤٨ حيث تصدى عارضاً عرضاً خاطفاً لسلطان الكرسي المقدس على غير الكاثوليك صفحة ٢٥٠—٢٥٢ .

وعلى الاجمال فقد استخدم الكاتب لغة لاتينية واضحة كلية لا تخلو احياناً من بلاغة (كما في حديثه ضد المضطهدين ص ٢٨٢ المنتهى بختام ؟) وانا لنجد في نهاية كل فصل اختصارات بديعة بشكل قضايا سكولاستيكية » على شاكلة ما ورد في الفقرتين رقم ٢١٠—٢١١ ، مثلاً ، اذ يلحظ المطالع فوراً ان الكتاب هو نتيجة تدريس سنوات عدة ، ولقد ساغ لي بخاصة الفصل الذي عولجت فيه المعاهدات البابوية « كونكوردا » (ص ٢٧٦—٢٨٩) .

ا . غونتيه اليسوعي

فلسفة

A. MISSENARD : *A la recherche de l'homme.* Librairie Istra, Paris, 1954. xx-406 pp.

انه في استطاعتنا القول ان هذا المؤلف هو امتداد لكتاب « الانسان ذلك المجهول » الذي كان له دوي عرفناه في وقته ، ولقد ربطت المؤلف صداقة بكاريل (Carrel) الذي كان من معارفه طوال سنين عدة .

وفضلاً عن هذا ان تعدد مشاغل الكاتب الفنية والتجارية والزراعية والعلمية واحترافه لمهنة الاستاذ جعلته يحتك بكل الطبقات من اكبر صاحب رأس مال الى احقر عامل ومن أمي نكرة نكراء الى عالم كبير مشهور .

والمؤلف قد مكنته عدة مهمات علمية انيطت به ان يكون على اتصال طويل بالاجانب — مما يؤخذ منه انه يستند الى خبرة واسعة متنوعة .

ويشتمل الكتاب على اربعة اقسام : الاول في الولادة والوراثة والثاني في التغذية والمحيط الكيماوي والثالث في الاقليم والمحيط الطبيعي والرابع في الثقافة والمحيط النفساني .

وفي جميع هذه الفصول درس المؤلف الانسان على التتابع ، وتوسع بنوع خاص في القسم الثالث لان من رأيه ان الاوضاع والمؤثرات الاقليمية على رغم ما لها من اهمية ما برحت معرفتها ضئيلة وهي جديرة بان يعرفها اكثر الناس اما القسم الرابع فاعظم اهمية .

وفي فصول عدة بحث الموضوع : التكوين الاخلاقي والتعليم والثقافة العقلية والثقافة المهنية والعلم والثقافة الخ ... وعلق المؤلف في كل موضع ملحوظات دقيقة تنم عن فكر متبصر وثاقب ...

ومما هو مفيد للقارئ خبرة المؤلف الشخصية ولا سيما اذا كان قارئه من الذين يعنون بامر التثقيف .

ويجدر بنا ان نشير خاصة الى (الصفحة ٢٧٥) : "كيف نفهم الولد المسؤولية بعهدنا اليه بحيوانات صغيرة ليربيها (كالارانب والكلاب والطيور) ... فيتعلق بها بطبيعته وعند ذلك تلقنه الخبرة اننا لا نستطيع ان نخدع الطبيعة .

وقدم المؤلف في خلاصته بصور متنوعة الالوان رائعة ملخص كل كتابه .

ي . ك .

رسالة الرئاسة والرئيس

بقلم الزعيم اندري مونتانيون

منشورات المكشوف ، تعريب لويس الحاج ، ١٩٥٥ ، ١٧٦ صفحة قطع وسط

ها هي ذي منشورات دار المكشوف ذات الانتاج الثر المختار تتحفنا بترجمة رشيقة حسنة التبويب لكتاب الزعيم اندره مونتانيون الذي موضوعه الرئيس ، اما هذا الرئيس المقصود فهو نجباصة الرئيس العبقري الذي حاول بحث مناقبه ودرس شتى مؤهلاته .

وما اكثر ما عالج الكتّاب موضوع الرئيس الجذّاب ، فقد اورد المؤلف

في ذيل كل صفحة مؤلفات طويلة ولكن لن ينتهي بنا الامر الى استقصاء الغايات التي تسير المؤلفين الى تحليل نقطة ما من شخصية ثرية .

ومن المؤكد ان مونتانيون عرف ان يحلل الامور المهمة لميزات الرئيس العسكري في الحقول الثقافية والاخلاقية والحرفية ، لكننا كنا نرغب في ان نرى عنده استزادة من النظرة الاجمالية ومن المبادئ الموجهة لانه من الجميل ان نرى بامّ العين تفصيل الصفات التي تجعل من الزعيم العسكري المحبوب قائدًا للناس .

ا. ع. خ.

اجتماعيات

خطاب السيد عبد الخالق حسونه الامين العام لجامعة الدول العربية ؛ القاهرة ١٩٥٥ ، قطع كبير ، ١٠ صفحات .

هو خطاب كاتم اسرار الجامعة العربية العام الذي ادلى فيه ببيان عن اعمال هذه المؤسسة طوال سني وجودها العشرة ، والامر الاكيد ان هناك اعمالًا جمة قامت بها الجامعة العربية في المضمار الثقافي والاجتماعي والاقتصادي والدولي ، بيد انه ألم يكن من واجبها ان تتجه الى المزيد من التفاهم في داخلها نفسه بين الدول المشتركة فيها .

ا. ع. خ.

الصحة المدرسية

بقلم جوزفين نجيب شوشاني

دراسات صحية تربوية اجتماعية ١٩٥٥ ، قطع وسط – مطبعة عون وحداد ، ١٩٠ صفحة

لقد اوجزت المؤلفة في مصنف قليل الحجم زبدة اختبار طويل ، بحيث لا يقع القارئ الشديد الاستعجال الا على اساليب تنتجها شتى البلدان فقد المت الى ما تتبعه هذه البلدان من نهج لتربية الطلاب والى ضروب الاعتناء باخلاقهم وصحتهم والى ما ينبغي استخدامه من الناحية الطبية لمعالجة هؤلاء الطلاب وصون صحتهم.

ولا يفوت القارئ اللبيب رؤية المؤلفة تدنّ الحياة ، بكلّ ما اوتيت من كأب بواجبها كمواطنة وبكل ما تضمره من حب لتثقيف الناشئة وتربيتها في تذكيرها بجميع هذه المناهج الجافة .

ولئن قلنا كلفها او بالاحرى ما اضمرته من حب فلأن ذلك قد كان العامل الرئيسي الذي جعل قيمة ووزناً لهذه البادرة المخلصة ، ولان المؤلفة جديرة بكل اطراء لاخراجها هذا المصنف الاول من بابه ، وانه ليشوقنا ان نشهد اهتماماً مضاعفاً لصحة اولادنا وتثقيفهم بما نبذله في سبيلهم من افئدتنا ونفوسنا .

ا. ع. خ.

H. Soenges : *L'éducation civique des Femmes. Quelques suggestions pratiques*, 103 pp. in 8°. Problèmes d'éducation n° VIII. UNESCO, Paris, 1953.

نولج هذا الموضوع على صورة واحدة في كراسين لمجموعة واحدة باللغتين الانكليزية والاسبانية اما الترجمة الفرنسية التي نحن بصددها الآن فبدأت بطرح السؤال التالي: هل التعليم المدني هو فضيلة نسائية ام لا، فاذا كنا قد شككنا في ذلك فلأن الظروف كانت لا تلائم كل الملائمة اتمارس النساء هذه الفضيلة ، اما الآن فمن المناسب ان تتلقى النسوة هذه التربية على شاكلة بقية العلوم لتقوم بانجاز دورها في صيانة البلاد وبتربية ابنائها كما عطوف وكحارسة للقوى الادبية.

وفي الواقع ان هذه التربية لتتبع نفس القواعد والطرق التي تتبعها بقية فروع التربية : من تنمية العادات المكتسبة بل. الحرية وذلك بفضل تعليم صحيح واحتكام عقلي سديد وبفضل عمل منظم لمصلحة البلاد في المضامير التي تهم المرأة اكثر من غيرها كالعمل المهني والصحي والاخلاقي . . .

وهذه التربية التي تبدأ في المدرسة من الواجب متابعتها في الجامعة والمهنة لكي تتعدى السيلة والامة وتغرس في المرأة المعنى العالمي .

وثمة فصل باسماء الكتب بحسب فصول هذا البحث يمكن من اتمام هذه الدراسة . هنري شارل اليسوعي

Jean Laloup et Jean Nélis : *Hommes et machines*. Initiation à l'humanisme technique. 19 × 13 cm, 317 pp. Tournai, Paris, Casterman, 1953.

عالج الكاتبان في مؤلفهما الصادر سنة ١٩٥٢ وكلاهما عالم اجتماع: المجتمع البشري واشرابه المبادىء الادبية الانسانية ، ولقد بدا لهما وهما يضعان كتابهما ، انه لا ينبغي للمبادىء الادبية الانسانية ان تماشي اوضاع العصر الحاضر الاجتماعية

فقط بل عليها ان تماشي تقدم الاليات الفني الحديث الجبار ، لان الالة وتقدمها الفني وطريقه تريد الانتاج باقل ما يمكن من الجهود تريداً آخذاً ابداً بالسير الى الامام اذ قد غدا «جوهرياً» لنا ليس بالاستطاعة الاستغناء عنه ولكنه تقدم مفيد وجائز في آنٍ واحد او بالاحرى باعثاً على قبض المضاجع ، ومما ضاعف اهمية هذا الامر ردات فعل الجيل الطالع الحماسية وهو لا يصبر كمن تقدمه الى ماضٍ « خالٍ من المحركات » . مما اكثر العقبات التي قامت تعترض سبيل صحة الانسان وقواه الطبيعية ومخاصة نفسيته لتحمله الآلة وما يساندها من التيارات الفكرية الحديثة على تناسي خالقه وتناسي الحياة الثانية ، حتى غدت رغبة الانسان في الاستزادة من استخدام المادة التي يذللها عقله رغبة تحمله على التضحية في سبيلها بالقيم التي تجعل منه انساناً حقاً .

وبدت مضار التقدم المادي جسيمة جدّ الجسامة في نظر غير واحد حتى نقموا عليه وحاولوا التخلص من مضاره اما اذا كانت الماركسية ترتاح الى هذا التقدم الفني فما ذلك الا بحكم مثلها الاعلى الا وهو المادية التاريخية . اما الوجودية ففي سخونيتها ايقاع لا يبعث على التشجيع الا قليلاً ، فحيال ما يرتسم التقدم الالي من مخاوف لازالة معالم المسيحية من النفوس كان لا بدّ لرؤسا الاديان وللاوساط الدينية من ان تنظر الى هذا التقدم نظرة التشاؤم بعد ان تحققت لديها هذه الامور بسهولة .

ولقد اودع الكاتبان مؤلفهما ما يستشف من ورائه اماثلا تلازم التقدم الالي نفسه وليست هذه الاعمال الا التلقائية الآلية التي بالاستطاعة تحويلها الى نحو معين لينتقل بواسطتها المصنع قريباً على ما يبدو من مزاولته لاعماله اللانسانية ويقلع عنها وهو الذي يفرضها الآن على القسم الاعظم من عماله بسبب تسللها تسللاً رتيباً اخذاً بعضه برقاب بعض .

ولقد اتضح لهما ان الضرر الناجم من الوجهة الانسانية والدينية عن تقدم الالة تقدماً فنياً هو اقل من ضرر الاساليب الملتوية التي انتهجها لنفسه عالمنا الحالي : مشيرين الى انعتاق للمسيحية من المحرمات التي وضعتها الاديان المستندة الى التعليم القائل ان النفس الروحية هي المبدأ الاول للحياة النباتية والاساسية والفكر والمتحررة من عقيدة القضاء والقدر القائمة في اديان عدة فهدت بذلك

عملياً الجوّ والبيئة اللذين تحقق فيهما هـذا التقدم الفني في الاليات ، ولو اعملنا الروّية في بعض صفحات التوراة لرأيناها تردّ ضمناً ولو على الاقل هذا التقدم الى نطاق الانسان وتعلن عدم جدواه لغيره من المخلوقات بيد انها لم تجعل منه لا غاية ولا مثلاً اعلى لاي فكر كان يعتقد بالله وبالحياة الاخرى ، فالامور المخلوقة التي حوّلها بعمله الانسان كتلك التي صادفها ابناء آدم الاولون يجب ان تبقى خاضعة له وان تساعده على ان يحيا كانسان وكانسان خلقه الله وقـد ضمّ الى مجهوده وصلاته الكون الذي اخضعه لنفسه .

The Teaching of The Social Sciences in The United States, 150 pp. in 8°. Publications Unesco, 1954.

بحث الاختصاصيون الاميركيون واضعو هـذا الكراس عن الاشارة الى ضروب التعليم في الجامعات الاميركية ليلقوا نظرة في هذا الباب على المعضلات التي يصادفونها في الولايات المتحدة في حقل التعليم .

واننا لنقع فيه على البيانات بشأن العلوم السياسية والعلاقات الدولية وعلم الاجتماع وعلم الانسان وعلم النفس الاجتماعي والحقوق التي يدرسونها في البلاد القائمة وراء الاطلانطي .

وكانت ادارة مجموع النشرة برعاية الاستاذ اهرمان (H.W. Ehrman) استاذ العلوم السياسية في جامعة كولورادو . هنري شارل اليسوعي

Evelyne Lot-Falck : *Les rites de chasse chez les peuples Sibériens*. 235 pp. in 8° avec 2 cartes, 10 illustrations et 16 planches h.-t. Collection l'espèce humaine, Gallimard, Paris, 1953.

ليس الصيد لدى سكان سيبيريه مجرد محاولة بين الانسان والحيوان وانما وراء هذا الحيوان تقوم قوة خارقة للطبيعة لا يستطيع التكنيك البلوغ اليها بل ينبغي التوسّل بالغرائم في سبيل ذلك او محاولة اكتساب رضاهـا بواسطة جملة قواعد مستمدّة من السحر او من الدين او من الحقوق .

ولقد وصف المؤلف شعائر الصيد السيبيرية وردّها الى مقامها الاصلي بالنسبة الى الشعائر القريبة للقنص . وفي كتابه فصل شديد الفائدة بصدد شكل البلاد وفصل اخر بشأن المعتقدات الرائجة فيها مع خرائط ورسوم تعرّفنا الى سكان هذا الجزء الشاسع من آسية الشمالية العديدين .

وصفوة الكلام لقد اوضح المؤلف ان التضخم في الحقوق تضخماً يتعدى حدودها الطبيعية يفضي الى تقلص العادات تقلصاً يؤدي الى ممارستها ممارسة اوتوماتيكية لتسفر في يومنا الحاضر عن انقطاع التوازن بين العالم القديم الحرفي والتكنيك الحديث الذي كان من تأثيره الابتعاد عن اللجوء الى الوسائل الخارقة للطبيعة لعدم جدواها .

ويتمم هذا الكتاب ويزيد ما جاء فيه ١٢٦ مذكرة من مذكرات الكتب التي كانت من مراجعه . هنري شارل البيرعي

اسلاميات

رسالة اسماعيلية واحدة ، القصيدة الصورية

بقلم محمد بن علي بن حسن الصوري

تحقيق عارف تامر وتقديمه ، المطبعة الكاثوليكية ١٩٥٥ قطع كبير ، ٧١ صفحة

ان ناشر هذه القصيدة الصورية هو من الرجال المعروفين ببحوثهم في المذهب الاسماعيلي ، وهو يقدم لنا هنا مجموعة من التعليم بصدد الباري تعالى والتوحيد والنفس والمادة الخ وبصدد الانبياء المختلفين ويختم كلامه بحومة جميلة حول محمد ، ولم يستطع المؤلف ان يستمد الهامه الا من القرآن ليعيد جميع ما يقوله القرآن له بصدد هذه الموضوعات المتفرقة ، فقد جاء بجميع ما اورده من اقوال سجعاً محاكياً في ذلك لغة النظم الشعري ، ومن حسن الحظ ان ادخل للناشر هذه القصيدة في دراسة عامة للاسماعيلية وللعهد الفاطمي وللقصيدة نفسها التي يحللها ويلفت الانتباه الى ان عدداً كبيراً من الكلمات لا يستطيع ان يفهمه احد الا من كان على اطلاع بالمذهب الفاطمي . ا. ع. خ.

'Abd al-Karim al-Jili : *De l'homme universel-Extraits du livre al-Insân al-Kâmil* — Traduit de l'arabe et commentés par Titus Burckhardt.- Lyon, P. Derain, 1953, 93 pp., Collect. « Soufisme ».

لقد اقدم جان هربرت « Jean Herbert » الذي اصدر حوالي سنة ١٩٤١ ١٩٤٢ مجموعة « لوتوس » على اصدار هذه المجموعة الاخرى « الصوفية » وذلك

ما يوضح اهتمامه الشديد للتعاليم الباطنية ولميزة « الكيان الروحية » (المستقل وجودها واعمالها عن المادة) في غير المسيحية ، فمن بين جميع المؤلفين الذين درسهم نراه اشد جنوحاً الى الباطنية لاعتقاده اننا واجدون فيها سبب وحدة الاديان الاخير ومبدأ « ميزة الكيان الروحية الاساسي في الانسان » الصريح الفريد ، اما انا فلا اودّ مناقشة هذا المبدأ : وانما اقول فقط ان التشابه لا يعني وحدة امرين متميزين احدهما عن الاخر .

وارفق الشارح ترجمته بتمهيد طويل استسلم فيه الى حسّه المرهف للتفسير ولا سيما الى تفسير المزيج الديني من التعاليم المختلفة الاصل والصعب التوفيق بينها ، كما توضح ذلك كل الايضاح بعض الشروح مثلاً : ص٢ (كوضع اكارت (Eckart) ومكسيم المعترف في مستوى واحد . — ص ٥ ملحوظة ٣ وص ٩ : ان لوسكي (Lossky) هو موضوع انتقاد كبير ولا يمكن اتخاذه مصدراً يُرجع اليه و ص ١٥ ، ان الكلام على وحدة الاديان السامية هو تأييد لوضع محال الدفاع عنه) .

وتحمل مقدمة بوركارت (Burckhardt) المطولة والدقيقة على فرض روح ثاقبة وبعض افكار مبنية على مبدإ غير مبيّن لدى المؤلف ، فقد كنا نرغب في رؤية بياناً اشد موضوعية لفكرة الجيلي في كتابه الانسان الكامل ، ومهما يكن من امر فلا نستطيع الّا ان نهنيء المؤلف على ترجمته الدقيقة من حيث الوجهة الفنية لكننا لا بد لنا من ابداء بعض التحفظ في مثل هذا المقام : فان بعض الكلمات العربية لم يُؤدّ مدلولها تادية صحيحة كترجمة التمثل في الذهن (conceptuel) بكلمة معقول فانا اعتقد ان ترجمته لها لم تأتِ موفقة فقد كان الاحرى به ان يترجمها بكلمة المفهوم الخ .

وعلى الجملة فان الترجمة لا بأس بها اماً المؤلف فقد احسن صنعاً بوضعه ثبتاً للعبارات الفنية التي ترجمها في عرض عمله .

ا. ع. خ.

W. Montgomery Watt : *Muhammad at Mecca*. 1 vol. in 8°, xvi+ 192 pp., Oxford, 1953.

انها كثيرة الكتب التي تُعنى بدراسة حياة محمد ، لتعوّل جميعها تعويلاً متفاوتاً على العوامل الدينية والروحية في تكوينه . بيد ان المؤلف قد كان حريصاً على

النظر الى هذا الامر من ناحية ثانية خُيّل اليه انها اكمل لدراسته اذ شاء ان يعطي العوامل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية اهميتها .

واذا كان لمكة تأثيرها الكبير حقًا « لكونها مركزًا ماليًا علاوة على كونها مركزًا للتجارة » كما يقول الاب لامنس ، فمن الواجب عدم الاسراف في المقالات بتأثيرها اسرافًا مفرطًا ليجعل منها قطبًا تدور حوله السياسة الدولية .

ومع هذا فالاستاذ وات عندما يدرس نطاق اعمال محمد لا اعماله نفسها يأتي بجديد بصدد الفئات السياسية وبصدد وضعها الاجتماعي مشددًا في الكلام على الامور التي تصدرت حماسة الاسلام في اوائله وعلى اتساعها لدى كل فئة فنشهد على هذه الشاكلة تفتق الاسلام الصحيح في شبه الجزيرة العربية .

ولقد تشدد المؤلف في قوله ان محمدًا لم يكن له خصم ولا اعداء في بدء رسالته عليه ان يناهضهم مستندًا في ذلك الى بعض سور القرآن الابعد قدماً ليقول ان محمدًا لم يكن تبشيره الهًا واحدًا بالضبط فقوله باتوحيد اولا كان غامضًا ليحفظ مقاماً لوجود الهة اخرى . فيا له من تناقض في الاثباتات .

وفضلًا عن هذا فقد رأى وات في تمكن اهل مكة من حمل محمد على التساهل بشأن العبادات الغريبة خارجًا عن مكة اشراكاً بالاله الواحد كان بالمقدور التسامح بايجاد تسوية له .

ولكن لماذا لم يهادن محمد بهذه التسوية مع عبادة الكعبة بشكلها القديم؟ وزد على ذلك فقد رأى وات في هجرة عدد من المسلمين الى الحبشة ارادة من محمد في الامر لانه ودّ الانفصال عن بعض الثائرين والخوارج : فيا لغرابة هذا الغرض .

ويشتمل هذا الكتاب على مسائل عدة ترغب ترغيباً شديداً في قراءته وانما من الواجب الانتباه والاحتراس على فكرة النقد اذا ما طالعناه ، فوات يستند احياناً الى الاساطير بدون ان يغربل غربلة كافية الروايات المتوارثة ليثبت في احدى صفحاته امرًا (كما في قضية قصيّ) ومن ثم ينفيه في الصفحة التالية ، وزد على ذلك انه يترع بدون سبب كافٍ الى التسليم بمصادر الرواية بدون ان يقلب فيها الرأي التقليب الذي يستدعيه النهج التاريخي فهو ينتقد الاب لامنس وينعت طريقته بالطريقة « الوقحة » المعيبة ولكننا لم ندرِ السبب في ذلك ،

فقد كنا نودّ ان لا تشوّه اثباتات كهذه الاثباتات بعيدة البعد كله عن الموضوعية عملاً قد كان شديد الجدوى ومبعثاً لاهتمام الاختصاصيين ، وانه بالاستطاعة انتقاد لامنس وغيره وانما تستدعي اللباقة والانسانية التمسك بقواعدهما ، ففي تآليف الاب لامنس نقاط لا يجرح القلم يسلّم بها تسليماً باتاً بدون جدال او مجادلة .

وفضلاً عن هذا فاننا لنشعر بحرص الاستاذ على الدفاع عن المصادر المعتمد عليها مع ان كتابه يرمي الى القيام بعمل مؤرخ لا الى تبرير .مراجعه ومستنداته تبريراً شديد الاسراف في التقريظ ، كما انه ليس ضرورياً ان يوحي قول من الاقوال بحياة عظيمة وتكون قد اثبتت صحته وأمعن في دراسته ، اما الباعث على الدهشة فهو ان يسير مستشرق كوات في طريق الحلول التي لا تسلّم بها الطريقة الموضوعية العلمية .

ا. عبده خليفه اليسوعي

Joseph Chelhod, Docteur ès-lettres : *Le Sacrifice chez les Arabes.* 218 pp. in 8° avec un index des ouvrages cités et un index alphabétique. Bibliothèque de Sociologie Contemporaine, Presses Universitaires de France, Paris 1955. Prix 700 frs.

قبل ان اوضح المؤلف دوام مفهوم القرابين في الاسلام واهميته بدأ باستعراض النظريات الاجتماعية الرئيسية بصدد جوهر القرابين ، واذ كان الامر متعلقاً بشأن هذه الذبائح فهو امر اجتماعي ، ولانه فعل جماعة ديني فان وجهة النظر الاجتماعية في هذا الباب قلّما تختلف عن وجهة نظر العالم اللاهوتي ، وانما لا بد لنا من ابداء الاسف على كون السيد شلهد (M. Chelhod) قد قصر معلوماته على بعض مؤرخي الاديان في قسمه الاول مع ان هناك علماء الاجتماع ما عدا دوركهايم ولوازي وهوبرت واستاذنا الكبير المأسوف عليه السيد مارسل موس قد عالجوا كنه القرابين . ولقد كان من الواجب ان يشير الى اللاهوتيين الكاثوليك ولو على الاقل اسم الاب ديلا تايل (de la Taille) الذي ما برح كتابه العلمي ذا قيمة تحتل المقام الاول وحتى من وجهة النظر العقلية .

ولقد كان الاسلام في بدئه ردّة فعل على الوثنية الجاهلية وفي ردة فعل ضد الكثير من الشعائر الدينية ومن ثم ضد فكرة القرابين التي كانت روح هذه الشعائر .

وبالاستناد الى القرآن والحديث — والحديث لا يزال عرضة للاخذ والرد —

والحجّ فكّر السيد شلهد في تأييد القول ان محمدًا هو الذي ابقى على القرابين العربية يوصفها تكريماً لله: اقلالاً للتزيد من الشعائر الدينية ومن التقيد بحرفيتها وذلك اعلاء لشأن الروح. وحتى لشأن التصوف الذي تنتصر فيه فكرة الجماعة دائماً وقبل كل امر آخر — مهما كانت تبدو فيه فكرة الفردية — لتظل فكرة القرابين اكثر من عمل ورع بسيط.

وان كان تطور مفهوم القرابين والشعائر الدينيـــة في الاسلام الذي اوضح على هذه الشاكلة لا يزال مفتقراً كما يؤخذ من عنوان الكتاب الثاني الى البحث عن طبيعة هذه الشعائر وعن كيفية ممارستها في غربي الجزيرة العربية، واذ كانت مراجعه هي مراجع ما بعد الاسلام عمد المؤلف الى النظر في معجمية الكلمات ولاسيما الى التاريخ المقارن علّه ان يجد فيها البرهان على بقاء فكرة القرابين حية في الاسلام وفي الوثنيّة التي كانت قبله في عهد «التمامي» عن نشر المعارف والعلوم ذلك العهد الذي نزع فيه مؤلفو ما بعد الاسلام الى تقليل اهميته.

والخلاصة ان كل حادث مهمّ وكل مرحلة من مراحل الحياة وبالاولى ان الخطيئة والتجاوز على الشريعـــة او امر الاله هو صدمة للحرام فمن الواجب التعويض عن فقدان هذا التوازن والتهديد الناتج عن ذلك (بالقصاص المتراوح من الضعف الى المرض فالى الموت ...) ان جميع القوم المنضم الى اسرة واحدة يتبادلون المساعدة بواسطة اقامة الشعائر الدينية استرداداً لقوتهم مع الفرد وتجديداً لشبابهم في الايمان وتقاليده الموروثة وايجاداً لوحدتهم وحيويتهم فيه.

وانها لنتائج شديدة الفائدة ولا نودّ الا رؤيتها صحيحـــة، بيد اننا نرغب في السماح لنا بابداء شيء من التحوّط بصدد المحاولات والطريقة اللتين اوصلتا المؤلف الى هذه النتائج.

واذا كان القرآن مرجعاً لا ريب فيه فان تفسيره لمدعاة الى الاخذ والردّ فلذلك نعلم كم هو مناسب التذرع بالحرص بصدد الحديث: فهو قلّما يستطيع ان يكون شيئاً آخر من الوجهة التاريخية سوى الاعراب عن فكرة الـــذين توسلوا باستخدامه...

اما هؤلاء المؤلفون العرب الذين اعتمدهم المصنف كـــتند «لتاريخ المقارن» فقيمتهم متفاوتة وغير متساوية مما يستوجب منه ايضاحها في درس مؤلفات كل

واحد منهم ولاسيما اذا ما شئنا التزوّد بمعلوماتهم عن خصائص الشعوب لان القليلين من بينهم عنوا بوصف العادات والتقاليد وصفاً موضوعياً ، فاذا كان المؤلف قاسياً بحق علماء خصائص الشعوب والرحالة العصريين الذين يتّصفون بحب الدرس العلمي فقد كان اولى به ان يتطلب نفس هذه الشروط من علماء خصائص الشعوب الاقدمين الذين لم تكن معارفهم في هذا الباب الا عن طريق المصادفة ، فهل بامكان في مثل هذه الظروف ان يعيد شكل تكوين الشعائر والعادات والفكرة الدينية لاحتفال كالاحتفال بالختان بواسطة مصادر مختلفة (راجع حواشي ص ١٢١) .

وذريعة المؤلف اللغوية التي يحفل لها كل الاحتفال تقتضي في استعمالها حكمة وفطنة طالما يعوز اللغة العربية مصنفات في القواعد والمعاجم التاريخية . اما نظرية القائلين بثنائية اللغة العربية هذه النظرية التي يودّ السيد شلهد التعويل عليها فانها لا تبرح غير وافية بالمرام . أليس من الممكن لكلمة عريقة في القدم — كساوم مثلاً — ان تنتقل انتقالاً اعتباطياً عن طريق تبديل حروفها او عن طريق تقديم الساكنة والخفيفة منها او تأخيرها من اصل الى اصل آخر الّا عندما يكون تطورها التاريخي يوضح ذلك صراحة . اما كلمة (hadyom) القرانية على وزن فَعَل وليس فيها غموض او اختلاط ممكن في اصولها وقد جعل بيلو والشرتوني وزن فاعِلات (hadyyatom) ومعنى « الحيران المسوق » « لهدية » او « لتضحيته» فليس هذا المعنى الا من باب الاضافة الى المعنى الاصلي او المعنى اللاحق بالمعنى الاساسي.

ومن هنا يتضح لنا مبلغ وهن الاستناد الذي نرتكز عليه لذلك ينبغي لنا ان لا نترك ذريعة من ذرائع الاطلاع تفوتنا او ان ندع جانباً مقارنة من المقارنات يخولاننا ان لم يكن اثبات بعض الاراء التي جيء بها على سبيل الفرض فعلى الاقلّ تشذيبها .

وبصدد التاريخ المقارن لقد كان خيراً للمؤلف ان يدرس المبادئ التي هيأتها مسيحية العرب الرحل حوالي الهجرة (راجع المجلد ٥٢ من مكتبة معهد الدروس العليا المنشور سنة ١٩٣٨ والذي يجدّد بعض التجديد عمل المرحوم الاب شيخو) وتاريخ اعتناق هذه القبائل نفسها للاسلام في غضون القرن الاول للهجرة (راجع مجلة « في ديار الاسلام » سنة ١٩٤٦) فهذه المبادئ يسعها ان توجه المعارف

التي نرومها بشأن عقلية سكان عربي الجزيرة العربية وردات فعلهم الدينية ، كما انه من المفيد ايضاً لفهم عقلية العربي فهماً افضل ان نعمد الى بحوث علماء خصائص الشعوب كما يفعل عامة علماء الاجتماع وان نستمد منهم جميع الامور الممكن التسليم بها حول وضع القبائل الرحل الديني القائم الآن لان معظم من يجدون الايل هم من اهل السنّة المنقطعين عن الاتصال بالدين في المدينة (راجع وليم مارسي : الاسلام والحياة في المدينة : بيان ندوة الخطوط القديمة والاداب ١٩٢٨) فان ممارستهم لشعائرهم الدينية التي رُدّت الى ابسط اشكال تعبيرهم عنها وقد خولطت بالمعتقدات الخرافية الباطلة فبذلك نستطيع على سبيل الافتراض التوجيهي ولو على الاقل الاستدلال من فكرة القبائل الدينية الحالية على دين القبائل قبل الاسلام اي الدين الذي ينطبق على اوضاع حياة كل واحدة منها في الصحراء .

وتوفر دراسة الشعائر الدينية التحليلية كدراسة شعائر الختان مثلاً وذلك على سبيل الفرض والتخمين دائماً كل هذه المبادئ ، واني لاذكر في هذا الباب فقط حفلة اختتان لدى قبيلة الرولة . فقد دُعيتُ مرة الى مضرب من مضاربتها في الصحراء التدمرية لحضور هذه الحفلة وذلك سنة ١٩٣٨ فسألتهم عن فكرة القبيلة الدينية في عملها هذا ، فقال مضيفنا والد الطفل المختتن كما زعم محيطه انها التقيد بالتقاليد التي لا قيمة دينية لها ومع ذلك فان تقصي البحث الى جانب الاحتفال ذي اللون المحلي وعملية الطهور الجراحية يضع نصب اعيننا ان القضية ليست قائمة على ذبح حيوان للوليمة وانما على ابقاء شعائر من المرجح انها دينية الا وهي ضرب من الطواف يقوم به الوالد وهو حامل بين ذراعيه طفله ويدور حول الخيمة متمتماً صلاة يخالطها الابتهال على شاكلة الذكر باسم الله .

أوَ ليس من الصعب جدّ الصعوبة الاستنباط من عمل كهذا العمل المشوش الشديد التشويش ومن الآن ندرك الحكمة التي يعتصم بها المستشرقون ، فلذلك لا ينبغي لنا ان نؤاخذهم مؤاخذة صارمة على اهمالهم حتى الساعة دراسة مراسيم دينية عربية عديدة على هذا النحو وليس لدينا بشأنها بعد امور مسلم بها تسليماً موضوعياً كل الموضوعية ، وانه لا يغرب عنا انه لا بد من هذه التحوطات التي لا تقلل شيئاً من قيمة مجهودات السيد شلهد المشكورة كما اننا نهنئه مع

السيد غريول (Griaule) على جرأته في اقدامه على معالجة موضوع اساسي الى هذه الدرجة وعلى جمعه المستندات وتفسيره لها. وهي لا تزال تفتقر الى الاثبات افتقارًا لا تستطيع دراسة معجمية الكلمات العربية ولا دراسة التاريخ ولا دراسة خصائص الشعوب العربية دراسة مقارنة ان تسدّ هذه الثلمة لتظلّ من باب الفرض ، ومع هذا فان كتاب السيد شلهد لشديد الفائدة .

هنري شارل اليسوعي

فن

M. Aubert, P. Parrot, P. Verlet, P. Devambez, J. Vandier : *Au Louvre la nuit*. 64 pp. de texte et 98 photographies en héliogravures de Laure Albin-Guillot, avec 3 planches des salles éclairées la nuit, sous jacquette en couleurs. Arthaud, Grenoble, Paris 1952.

تخوّلنا الانارة التي كانت موضع الدرس ان تشير الى دقائق التفاصيل وتقدير كل نقش ، فصور السيدة ل . البان غويله (Mme Albin Guillet) تعيّن تعيينًا رائعًا نتيجة هذا المجهود بغرضها وجهة نظر للضوء وللظلّ وتحفزنا الى الذهاب لتعجب برؤيتها في مكانها . اما الزائر فسيهدي خطاه وصف مقتضب للعصور وفهرست الكتب الرئيسية التي وضعها اختصاصيون ماهرون من الشرق ومصر منذ العهد الاغريقي الروماني ومنذ العصور الوسطى ، لان هناك ثلاث لوحات تاريخية تجعل المقارنة في متناولنا . وهذا الدليل المطبوع طبعًا متقنًا يفتن النظر كما يفتن الالباب .

هنري شارل اليسوعي

Jacques Caillé: *La Mosquée de Hassan à Rabat*. 172 pp. in 4° avec 43 figures dans le texte et 48 planches photographiques h.-t. et un portefeuille de 19 plans et dessins de Jean Hainaut. Publications de l'Institut des Hautes Études Marocaines, tome LVII, Paris, 1954.

لاول مرة زرت رباط سنة ١٩٤٥ وقعت في نفسي وقعًا شديدًا فخامة برج حسن وغابة الاعمدة الكثيفة وهي بقايا مسجد اروع فتنة في نظري من غيرها من الذكريات .

ويرمي كتاب السيد كايه (Caillé) الذي قام بالتنقيب في سنتي ١٩٤٣ و ١٩٤٤ مع السيد جان هانو (Jean Hainaut) الى تعريف تاريخ المئذنة التي

.. برحت غير مكتملة والى تعريف تصيبا وهندسة بنائها وزخرفها ومساحتها البالغة هكتارين ونصف الهكتار والاعمدة الاربع مئة وهي اعمدة اعظم مسجد اسلامي في الغرب تدليلاً على المجهود الفني الذي وصل اليه الموحدون .

ولقد جاءت الخطة الموضوعة لهذا الكتاب مستوفاة كل الاستيفاء بتلك الدقة وذاك الاطلاع الواسع والروعة التي تعودناها من السيد كايه (Caille) اما رسوم السيد هانو (Hainaut) وتصاميمه وارجاعه ذلك البناء الى ما كان عليه فممتاز جدّ الامتياز في كل نقطة من نقاطها لتساعد حق المساعدة في ردّ تاريخ هذا البناء الخارق للعادة وهندسته حين الى اذهاننا . هنري شارل اليسوعي

La Syrie. Album in 4° d'héliogravures en noir, agrémenté de 8 planches en couleurs d'une carte des monuments. Photographie de G. Bourdelon, introduction de Louise Weiss. Coll. « Couleurs du monde », del Duca, Paris. s.d.

المقدمة من صفحة واحدة والرسوم في اثنتين وعشرين صفحة يضاف اليها ثمانية رسوم اخرى متفرّقة . ان ذلك لقليل نسبة لما تتمتع به سورية من ثروة قديمة وحديثة اقتصادية وانسانية .

وهذه اللمحة الخاطفة التي تنتقل بنا من دمشق الى تدمر ومن درعا ومعرة حلب الى القديس سمعان ومن حماة الى حصن المرقب تنقصها الرصافة وابنية الصحراء الاثرية ومناظر النوطة والسباسب والفرات ومنابع عين عروس ذات السدود وراس العين ، اما البحر والباسط واللاذقية وجبله ووادي العاصي فلا وجود لها . اما فندق الاوريان بالاس فلا يعطي فكرة عن جمال مدينة دمشق .

ولا مجال الا ان نشيد بروعة الرسوم لان هذه المجموعة ستتمّ اتمّاماً ممتازاً المجموعات المنشورة سابقاً . هنري شارل اليسوعي

P. J. Knoeny, o.l.m. — *La Conception artistique de Vincent d'Indy.* Imprimerie des moines libanais, Beyrouth.-1954 — 80 pp.

عندما يكتب مؤلّفنا الشاب في الموسيقى فانه لا يكتب عن جدارة وعلم فحسب يضاهي فيها من حنّكه الدهر وزاد في خبرته ولكنه يتحسّس الواقع الذي يبدو للفنّان من خلال نغمات يرى فيها عالماً يعيش فيه ، عالم الجمال الثابت

وراء الظواهر المتقلبة فيستلهمه ويستوحيه ويأتي على البشرية فيضفر عليها مما شعر به ورآه غزارة المعاني وعمق الافكار ويجتهد في ان يحمل القارئ بواسطة كلمات اشبعها من خبرته ومن ارهاف حسّ على السير وراءه طوعاً علّه يختبر ذلك العالم ويأنس بشرته . ولكنّ من يتطلّع الى هذا الكتيّب ليرى ضآلة تلك الكلمات بالنسبة الى ما تثيره في نفسه من عواطف وما تخلقه من عوالم — واي فنّان لا يصعب عليه التعبير عمّا يختلج به قلبه وتتمخّض به افكاره — ولكن المهارة ان يتوصل الى هدفه بخلق جوّ يستطلع منه القارئ شيئاً من الكثير الذي عاشت فيه نفس المؤلف . ومن يتوصل الى ذلك سوى من زهد بنفسه ليذوب في صوفيّة الموسيقى وروحها وفيها صفاء وفيها حكمة وفيها انس وفيها امل . وقد سعى افلاطون الفيلسوف الى ردّ الناس الى الموسيقى وكان الكتاب المقدس يمزّ الموسيقي ويطلب الى المزيد حب الموسيقى . ولذا نرى من خلال هذه الوريقات ثروة طائلة ، ثروة روح المؤلف الذي عبّر عن خبرة شخصية من خلال خبرة الموسيقى داندي فقسم كتابه الى قسمين درس في الاول منها الفنّ بحد ذاته والنغم ومصدر الفنّ الروحاني ودور الفن في الحياة النفسية وانتقل الى دور الفن في تثقيف العقل والى دور الفنّان الرسولي والى حرية الفنّان بينما يستسلم الى فنه والتعبير عن مكنونات قلبه والى علاقة الفن بالصلاة بعد ان تمنى ان يحمينا الله من اولئك الذين يعدّون انفسهم فنّانين وهم بعيدون كل البعد عن الفن ومفهومه الصادق .

اما في القسم الثاني فيحدثنا المؤلف عن دور الفن الاجتماعي وعن فضائل الفنّان الاخلاقية وعن دور الفن في خلق جوّ ملائم لحمل النظر الى علّ .

ولقد توصل المؤلف في كل ذلك الى اسداء الآراء الصائبة . ونحن ما سيتبع هذا الكتيّب منتظرون . ولا غروَ اذا نال المؤلف من الحكومات الاوروبية ما يرمي الى تشجيعه في التأليف وما تلك الاوسمة التي نالها وما قاله عنه مقدّم الكتيّب الا التعبير القليل عمّا تتفتّح عنه يوماً روح المؤلف الثريّة .

واذا اخذنا شيئاً على هذا الكتيّب ولمحنا الى الاغلاط المطبعية العديدة التي تشوّه العدد الكبير من صفحاته فلا نزيد بذلك الّا ان تظهر مؤلفات الاب يوسف الخوري في قالب يليق بها .

ا. عبده خليفه اليسوعي

فهارس المشرق

للسنة الخمسين

١٩٥٦

فهرس اول

لمواد اعداد السنة الخمسين من مجلة المشرق ١٩٥٦

الجزء ١ — (كانون الثاني – شباط): تاريخ الدول السريانية لابن العبري للخوري اسحق ارملة السرياني † (٣–١٦)= كتاب الحمامة لابن العبري للاباتي يوسف حبيقة اللبناني† (١٧–٦٩) = لعبة ادبية منسوبة الى الجاحظ لشارل بلّا (٧٠–٧٨) = رواية مارينوس راهب دير قنّوبين للاب مبارك ثابت اللبناني (٧٩–١٢٨) .

الجزء ٢ — (آذار – نيسان) : تاريخ الدول السريانية لابن العبري للخوري اسحق ارملة السرياني† (١٢٩–١٥٢)= الامرأة النلامية في الاسلام لحبيب زيات (١٥٣–١٩٢)= كتاب الدرّ المرصوف في تاريخ الشوف للاب اغناطيوس مركيس (١٩٣–٢١٤) = الطيب الاثر الاب مبارك المتيني اللبناني للاب بطرس ساره اللبناني (٢١٥–٢٣٢) = ردّ على مرداد لف . ق (٢٣٣–٢٣٥) = الكتب (٢٣٦–٢٥٦) .

الجزء ٣ — (ايار – حزيران) : تاريخ الدول السريانية لابن العبري للخوري اسحق ارملة السرياني † (٢٥٧–٢٧٤) = صفحات من الاب القارمي.: ناصر خسرو لعارف تامر (٢٧٥–٢٨٢) = تكملة تاريخ الطبري لالبرت كنعان (٢٨٣–٣٢٨) = ابن الله الوحيد للاب جوزف بونسرفن البسوعي (٣٢٩–٣٧٦) = الكتب (٣٧٧–٣٨٤).

٤ — ٥ — (غوز – تشرين الاول) : تاريخ الدول السرياني لابن العبري للخوري اسحق ارملة السرياني † (٣٨٥–٤١٤) = كتاب الدرّ المرصوف في تاريخ الشوف للاب اغناطيوس سركيس (٤١٥–٤٤٨) = الغزل في شعر مزيد الحلّي الاسدي لمارف تامر (٤٤٩–٤٦٥) = اثر المفيدة في شعر مزيد الحلّي الاسدي لمارف تامر (٤٦٦–٤٨٤) = تكملة تاريخ اس ... لألبرت كنعان (٤٨٥–٥٣٨) = كتاب طب خطي لصالح افندي للاب انطونيوس شيلي اللبناني (٥٠–٥٨٦) = القديس اغناطيوس ده لويولا ورهبانيته اليسوعية للاب روفائيل نخله اليسوعي (٥٨٧–...) = فصول من كتاب المرشد ليحيى بن جرير التكريتي للاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي (...–٦٠٠) = الكتب (٦١٨–٦٤٠) .

الجزء ٦ — (تشرين الثاني – كانون الاول) : وثائق تاريخية عن حلب ٤ — اخبار الموارنة وما اليهم من ١٦٠٦ الى يومنا للاب فرديناند توتل اليسوعي (٦٤١–٦٨٦) = تفسير الصلوة الربية للسريان غريغوريوس شمعون الطوراني للاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي (٦٨٧–٧١٠) = حجج فلسفية تدعم نظرية النشوء للاب فيلكس سوانيون اليسوعي (٧١١–٧٢١) = اللحى في الاسلام لحبيب زيات † (٧٢٢–٧٣٨) = الكتب (٧٣٩–٧٥٧) = فهارس الفهارس (٧٥٨–٧٦٤) .

فهرس ثانٍ

يحتوي اسماء كتبة المشرق ومقالاتهم

ارملة (المطران اسحق السرياني) : تاريخ الدول لابن العبري ٣–١٦، ١٢٩–١٥٢، ٢٥٧–٢٧٤، ٣١٥–٤١٤

بلّا (شارل) : لمعة ادبية منسوبة الى الجاحظ ٧٠–٧٨

بوفسرقن (الاب جوزف اليسوعي) : ابن الله الوحيد ٣٢٩–٣٧٦

تامر (عارف) : صفحات من الادب الفارسي : ناصر خسرو ٢٧٥–٢٨٣ – الغزل في شعر مزيد الحلي الاسدي ٤٤٩–٤٦٥ – اثر العقيدة في شعر مزيد الحلي الاسدي ٤٦٦–٤٨٤

تونل (الاب فردينان اليسوعي) : وثائق تاريخية عن حلب ٤ – اخبار الموارنة وما اليهم من ١٦٠٦ الى يومنا ٦٤١–٦٨٦

ثابت (الاب مبارك اللبناني) : رواية مارينوس راهب دير قنوبين ٧٩–١٣٨

حبيقة (الاباتي يوسف اللبناني) : كتاب الحمامة لابن العبري ١٧–٦٩ .

خليفه (الاب اغناطيوس عبده اليسوعي) : فصول من كتاب المرشد ليحيى بن جرير التكريتي ٦٠٣–٦١٧ – تفسير الصلاة الربية للمفريان فريغوريوس شمعون الطوراني ٦٨٧–٧١٠

زيات (حبيب) : الامرأة الغلابة في الاسلام ١٥٣–١٩٢–الاعمى في الاسلام ٧٢٢

ساره (الاب بطرس اللبناني) : الطيب الاثر الاب مبارك المتيني اللبناني ٢١٥–٢٣٢

سركيس (الاب اغناطيوس قب) : كتاب الدر المرصوف في تاريخ الشوف ١٩٣–٢١٤، ٤١٥–٤٤٨

سوايون (الاب فليكس اليسوعي) : حجج فلسفية تدعم نظرية النشوء ٧١١–٧٢١

شبلي (الاب انطونيوس اللبناني) : كتاب طب خطي لصالح افندي ٥٢٩–٥٨٦

ق (ف) : رد على مرداد ٢٣٣–٢٣٥

كنعان (البرت يوسف) : تكملة تاريخ الطبري ٢٨٣–٣٢٨، ٦٨٥–٥٢٨

مخلد (الاب روفائيل اليسوعي) : القديس اغناطيوس ده لويولا ورهبانيته اليسوعية ٥٨٧–٦٠٢

فهرس ثالث

للمطبوعات التي ورد وصفها في السنة الخمسين للمشرق

على ترتيب اسماء مؤلفيها

١ — الكتب الشرقية

ا

ابي نادر (الاب يوسف الانطوني) : سبحة وردية لتكريم القديس يوسف ٦١٨

الاشقر (يوسف حبشي) : ليل الشتاء وقصص اخرى ٦٢٦

اليك (نعيم سيجي) ٦٢٥

الانباري (ابراهيم) : شرح لزوم ما لا يلزم لابي العلاء المعري ٢٥١

ب

براون (چرانفيل) : تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الى السعدي (نقله الى العربية الدكتور ابراهيم امين الشواربي) ٢٥٢

ج

الجزائري (ابراهيم مجاهد) : على ضفاف السراب ٦٣٧

ح

الحسني (عبد الرزاق) : الصابئون في حاضرهم وماضيهم ٢٤٩

حسين (الدكتور طه) : شرح لزوم ما لا يلزم لابي العلاء المعري ٢٥١

الخفار (لطفي بك) ذكريات ٢٤٩

خ

خطاب السيد عبد الخالق حسونه ٧٤٦

ر

الرياشي (قبلان) : رباعيات الرياشي : في ظلال الفردوس ٦٢٨

ز

الزبيدي (ابو بكر محمد بن الحسن) : طبقات النحويين واللغويين (تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم) ٦٢٦

الزين (علي) : اوراق اديب ٦٢٩

ش

شلبي (الدكتور احمد) : في قصور الخلفاء العباسيين ٢٥٠

شوشاني (جوزفين نجيب) : الصحة المدرسية ٧٢٦

ص

الصوري (محمد بن علي بن حسن) : رسالة اسماعيلية واحدة ، القصيدة الصورية (تحقيق عارف تامر) ٧٤٨

ض

ضومط (الخوري ميخائيل) : شرح طقوس الاسرار ٦١٨

ط

طباره (عفيف عبد الفتاح) : روح الدين الاسلامي ٢٣٨

ع

العقاد (عباس محمود) : الاسلام في القرن العشرين : حاضره ومستقبله ٢٤٥

غ

الغزالي (محمد) : الاسلام والمناهج الاشتراكية ٢٤٣ — عقيدة الاسلام ٢٣٦

ل

لحود (اديب بك) : الدوحة المسيحية ٢٥٩

لغيس (الدكتور جورج) : خراجات الفكين والوجه والعنق ذات المنشاء السني ٢٥٩

م

مؤتمر الشهداء (مهدى له يوسف ابراهيم يزبك) ٢٤٦

موتانيون (الزعيم اندوي) : رسالة الرئاسة والرئيس (تعريب لويس الحاج) ٧٤٣

٢ — مطبوعات اوروبية

A

ANDERSON (R.C.) : *Naval Wars in the Levant* 637
AUBERT (M.) : *Au Louvre la nuit* 755

B

BEALS (R.L.) - HOIJER (HARRY) : *An introduction to anthropology* 634
BRETAGNE (GUY DE) : *Pastorale catéchétique* 624

C

CAILLÉ (JACQUES) : *La Mission du Capitaine Burel au Maroc en 1908* 739
— — *La Mosquée de Hassan à Rabat* 755
CARL (L.) - PETIT (J.) : *Tedefest, Méharée au Sahara central* 639
CATHERINE II : *Mémoires écrits par elle-même* 383
CHELHOD (JOSEPH) : *Le sacrifice chez les Arabes* 751
COSTAZ (L. S. J.) : *Grammaire syriaque* 632
COSTAZ (L. S. J.) - MOUTERDE (PAUL S.J.) : *Anthologie syriaque* 632

D

DAVID-NEEL (ALEXANDRE) : *Le vieux Tibet face à la Chine nouvelle* 739
DERMENGHEM (ÉMILE) : *Le culte des Saints dans l'Islam Maghrébin* 377
DEVAMBEZ (P.) : *Au Louvre la nuit* 755

F

FENOYL (M. DE) - MONGOLFIER (M. DE) : *Coutumes religieuses coptes* 619

G

GARY-MAC EOIN : *The communist war on religion* 242
GASBARRI (C.) : *La Terra di Dio* 633
GOSSOT (H.) : *Éléments d'histoire de la civilisation des techniques et des métiers présentée par les textes* 380
GOITEIN (S. D.) : *Jews and Arabs, their contacts through the ages-Schocken Books* 256 .

H

HAGE (P. ATHANASE, B.B.) : *Les empêchements de mariage en droit canonique oriental* 378
HAUSHERR (P. IRÉNÉE) : *Philautie* 622
HOIJER (HENRY) : *An introduction to Anthropology* 634
HOSKINS (H.C.) : *The Middle East, Problem Aera in World Polities* 740

J

AL-JILI (ABD EL KARIM) : *De l'homme-universel — Extraits du livre al Insân al Kâmil* 748

K

KOECHLIN (F.) : *Capitalisme et socialisme* 382

L

LALOUP (JEAN) : *Hommes et machines* 745
LADOWERSKY (N.) : *Theologia orientalis* 623
La Syrie 756
LECOTTE (R.) : *au village de France ; de la chandeleur à la Saint-Jean. — Des moissons à la Noël* 625
Le monde en couleurs. — L'Afrique du Nord — La Grèce 635
LOT-FELCK (ÉVELINE) : *Les rites de chasse chez les peuples Sibériens* 747

M

MASCALL (E.L.) : *Corpus Christi* 619
MENON (P.L.) : *Au village de France : de la Chandeleur à la Saint Jean. — Des moissons à la Noël* 625
MISSERAND (A.) : *A-la recherche de l'homme* 742
MONGOLFIER (M. DE) : *Coutumes religieuses coptes* 619
MOUTERDE (PAUL) : *Anthologie syriaque* 632

N

NÉLIS (JEAN) : *Hommes et machines* 745

P

PARROT (P.) : *Au Louvre la nuit* 755
PELLAT (CHARLES) : *Le milieu basrien et la formation de Ǧāḥiẓ* 630
PETIT (J.) : *Tedefest, Méharée au Sahara central* 639

R

RÉMY : *Pourpres de martyrs* 381
RICORD (M.) : *Croisières en Méditerranée* 638
ROMANI (SYLVIUS) : *Elementa Juris Ecclesiae Publiri* 742

S

SAKHAWIANA : *A Twelfth- Century Reading List* (publication A. J. ARBERRY) 628
SCHOEFFER (RENÉ) : *Drame et charmes de l'Afrique du Nord* 638
SOURGEN (H.) : *L'éducation civique des Femmes. Quelques suggestions politiques* 745

T

The evolution of public responsability in the Middle East 246
The Teaching of the Social Sciences in the U.S. 747
THIBAUT (DOM R.): *Un maître de la vie spirituelle, Dom C. Marmion* 621
THOMSEN (PETER) : *Die Palästina Literatur. Lieferung 1,2* 627

V

VANDIER (J.) : *Au Louvre la nuit* 755
VENDRYES (PIERRE) : *De la probabilité en histoire* 639
VERLET (P.) : *Au Louvre la nuit* 755
VRIES (GUGLIELMO DE) : *Oriente cristiano ieri e oggi* 255

W

WATT (W. MONTGOMERY : *Muhammad at Mecca* 749

فهرس رابع

لجمع مواد السنة الخمسين لمجلة المشرق

على طريقة حروف المعجم

ا

الامرأة الغلامية في الاسلام ١٥٣
ابن الله الوحيد ٣٢٩
اثر العقيدة في شعر مزيد الحلي الاسدي ٤٦٦
الطيب الاثر الاب مبارك المتني اللبناني ٢١٥
الغزل في شعر مزيد الحلي الاسدي ٤٤٩
الفديس اغناطيوس ده لويولا ورهبانيته اليسوعية ٥٨٧

ت

تاريخ الدول لابن العبري ١٢٩، ٢٥٧، ٣٨٥
تكملة تاريخ الطبري ٢٨٣، ٤٨٥
تفسير الصلاة الربية ٦٨٧

ح

حجج فلسفية تدعم نظرية العشوء ٧١١

ر

رد على مرداد ٣٣٣
رواية مارينوس راهب دير قنوبين ٧٩

ص

صفحات من الادب الفارسي : ناصر خسرو ٢٧٥

ف

فصول من كتاب المرشد ٦٠٣

ك

كتاب الحمامة لابن العبري ١٧
كتاب الدر المرصوف في تاريخ الشوف ١٩٣، ٤١٥
كتاب طب خطي ٥٢٩

ل

لعبة ادبية منسوبة الى الجاحظ ٧٠
اللحن في الاسلام ٧٢٢

و

وثائق تاريخية عن حلب (٤) ٦٤١

AL-MACHRIQ

REVUE CATHOLIQUE ORIENTALE
PARAISSANT TOUS LES DEUX MOIS

SCIENCES. LETTRES. ARTS

Sous la direction
des Pères de la Compagnie de Jésus
UNIVERSITÉ SAINT-JOSEPH

Cinquantième année

1956

BEYROUTH
IMPRIMERIE CATHOLIQUE
1956

TABLE DES SOMMAIRES

L[e] ANNÉE, 1956

◇

JANVIER - FÉVRIER

Le *Chronicon* syriacum de Bar-Hebraeus (p. 3) : *P. Ishac Armalet* (†).

Le livre *de la Colombe* de Bar-Hebraeus (p. 17) : *P.J. Hobeica* (†).

Texte (un jeu littéraire) attribué à al-Ğāḥiẓ (p. 70) : *M[r] Charles Pellat.*

Marinos — Roman historique (p. 79) : *P. M. Tabet.*

MARS - AVRIL

Le *Chronicon* syriacum de Bar-Hebraeus (p. 129). *P. Ishac Armalet* (†).

La femme garçonne en Islam (p. 153) : *M[r] H. Zayat* (†).

Histoire du Chouf de Hananiya al-Munaiyar (p. 193) : *P. I. Sarkis* B. B.

Le Père Mobarak al Mteïny (p. 215) : *P. P. Sara.*

La réponse à Mardād (p. 233) : *F. K.*

Les Livres (p. 236).

MAI - JUIN

Le *Chronicon* syriacum de Bar-Hebraeus (p. 257) : *P. Ishac Armalet* (†).

Nāṣir Ḫisrō (p. 275) : *M[r] ʿArif Tāmir.*

Suite de l'Histoire d'aṭ-Ṭabarī (p. 283) : *M[r] Albert J. Kanaan.*

Le Fils unique de Dieu (p. 329) : *P. J. Bonsirven S. J.*

Les Livres (p. 377).

JUILLET - OCTOBRE

Le *Chronicon* syriacum de Bar-Hebraeus (p. 385) : *P. Ishac Armalet* (†).

Histoire du Chouf de Ḫananiya al-Munaiyar (p. 415) : *P. I. Sarkis* n. n.

Al-Ġazal dans la poésie de Mazid al-Ḥillī al-Asdī (p. 449) : *Mr ʿArif Tāmir.*

Le rôle de la doctrine dans la poésie de Mazid al Ḥillī al-Asdī (p. 466) : *Mr ʿArif Tāmir.*

Suite de l'Histoire d'aṭ-Ṭabarī (p. 485) : *Mr Albert J. Kanaan.*

Un livre de médecine de Sālih effendi (p. 529) *P. Antoine Chéhli.*

S. Ignace et le rayonnement de la Compagnie de Jésus (p. 587) : *P. R. Nakhla S. J.*

Chapitres sur l'Eucharistie (p. 603) : *P. I. Abdo Khalifé S.J.*

Les livres (p. 618).

NOVEMBRE - DÉCEMBRE

Contribution à l'Histoire d'Alep IV — Les documents maronites et leurs annexes de 1606 à nos jours (p. 641). *P. Ferdinand Taoutel S. J.*

Commentaire du *Notre Père* par Grégoire Šam ūn aṭ-Ṭarāūī (p. 687) : *P. I. Abdo Khalifé S.J.*

Quelques raisons philosophiques d'admettre le Transformisme (p. 711) *P. F. Soignon S.J.*

Le port de la barbe en Islam (p. 722) : *Mr Habib Zayat* (†).

Les Livres (p. 739). Index Généraux (p. 758).